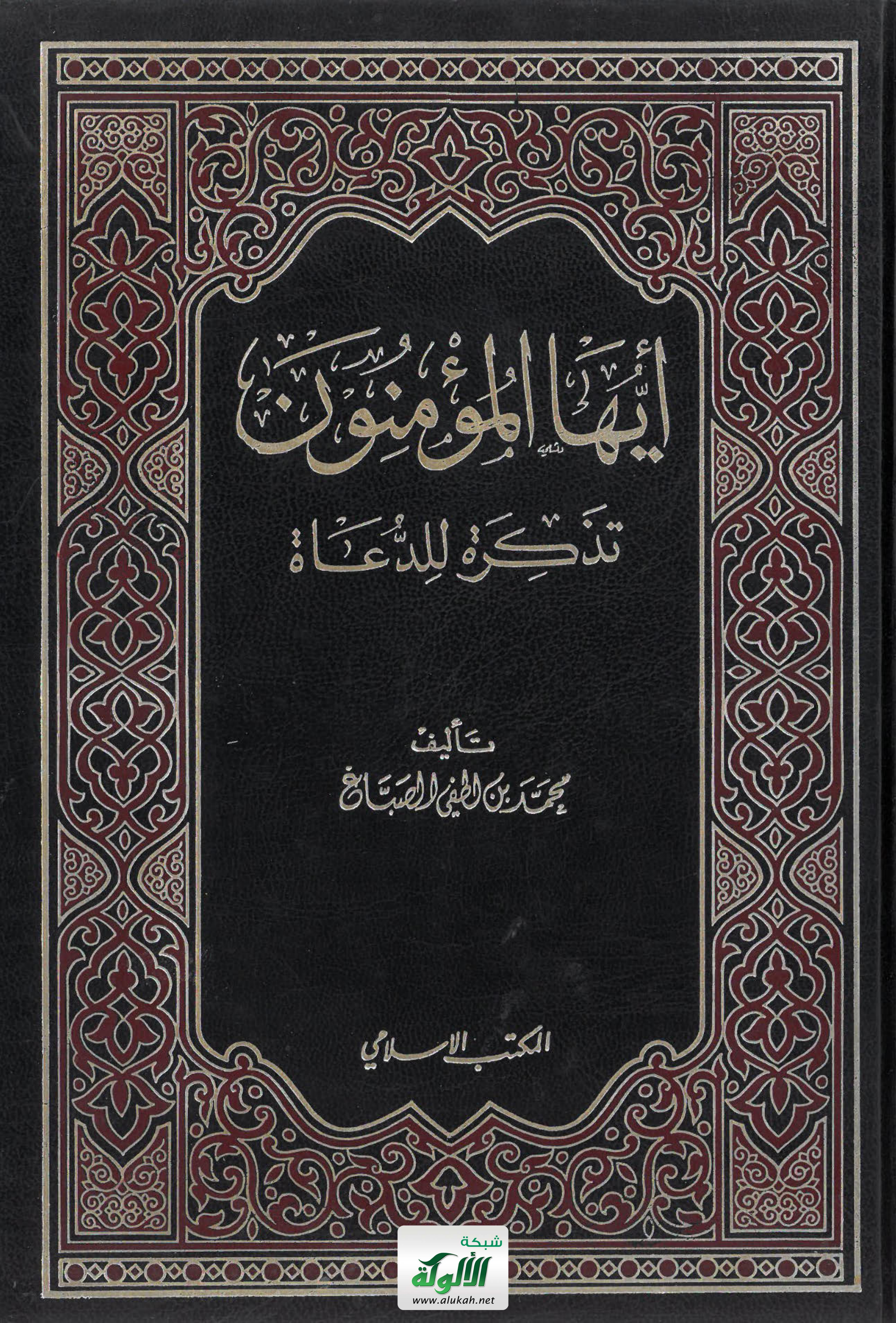
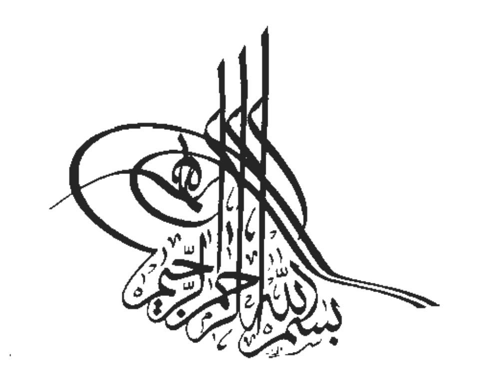

أيها المؤمنون
تذكرة للدعاة
تأليف
محمد بن لطفي الصباغ
المكتب الإسلامي
شبكة الألوكة
www.alukah.net


أيها المؤمنون
تذكرة للدعاة







أيها المؤمنون

تذكرة للدعاة

تأليف

محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي





الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

● الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعُوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. مَنْ يَهدهِ اللّه فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعابدعوته، وسلَّم تسليماً كثيراً.

● الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

● الحمد لله الذي جعل رسالة محمَّدٍ خاتمة الرسالات، وجعله خاتم النبيين بشيراً ونذيراً، وتكفَّل بحفظ دينه، وجعل طائفة من أتباعه ظاهرة على الحق، تدعو له، وتعمل على نصرته وإشاعته، وتصبر على ما تلقى في سبيل ذلك، لا تخشى في الله لومة لائم، مهما كانت الظروف والأحوال، لا يضرُّها من خالفها حتَّى يأتي أمر الله.

● الحمد لله الذي جعل القلوب قابلة للموعظة والاستجابة، ترقُّ بالتذكير، وتخشعُ بالترهيب، وترجو بالترغيب، وجعل الفوز والنجاة يوم القيامة مرتبطيْن بسلامتها ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

إليها ينظر الله، ولا ينظر إلى الصور والأجساد، ومنها ينطلق الصلاح والفساد، وبها يكون الانحراف والرشاد.



والقلوب تقسو وتلين:

تقسو بالغفلة والإعراض عن شرع الله والوقوع في المعاصي، والإصرار عليها، وقد تزداد قسوتها حتى تفوق الحجارة في ذلك قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وتلين بالموعظة، والكلمة الطيبة، وطاعة الله والوقوف عند حدوده، حتّى تكون رقيقةً حسّاسة، تُبْكي صاحبها عند تدبر القرآن وسماع النصيحة وتنأى به عن المضجع ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

والرسول ﷺ مأمور أن يعظ الناس ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

وكان النبي ﷺ يعظ أصحابه ويذكرهم ويتخولهم بالموعظة، وقد عرف الصحابة والتابعون فائدة الموعظة، فكانوا يطالبون بالمزيد منها، كما حصل مع ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان يُحدِّثُ الناس كل خميس، فاجتمع عدد من الناس عند بابه يطلبون منه أن يحدثهم زيادة عن موعده، ولكن عبدالله بن مسعود أبى ذلك.

روى ذلك البخاريُّ ومسلم عن شقيق قال:

كُنَّا جلوساً عند باب عبدالله ننتظره، فمرَّ بنا يزيدُ بن معاوية النخعي فقلنا: أعلمه بمكاننا. فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبدُالله فقال: إني أُخْبَرُ بمكانكم، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن أُمِلَّكُم، إنَّ رسول الله ﷺ كان يتخوَّلُنا الموعظة في الأيام، مخافة السآمة علينا [متفق عليه(1) وهذه رواية مسلم].

وكان ﷺ يخوفهم، ويرفع في ذلك صوته، كما روى ذلك جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم ومسّاكم(2).

وكانت مواعظه مؤثرة أعظم التأثير، يصفها العرباض بن سارية رضي الله عنه فيقول:

صلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العيون وَوَجِلَتْ منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودِّع. فما تغهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً جشيا. . » إلى آخر الحديث.

قال ابن الجوزي:

[اعلم أنَّ الطباع لمَّا خُلقت مائلةً إلى حُبِّ الشهوات المُرْدية، والبطالة المُؤْذية، افتقرت إلى مقوِّم ومثقِّف، ومحذِّر يرد.

---

(1) انظر صحيح البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا (1/20 - 21) وفي آخر كتاب الدعوات باب الموعظة ساعة بعد ساعة (74/8)، وصحيح مسلم كتاب صفات المنافقين باب الاقتصاد في الموعظة 2172/4 برقم 2821 ط فؤاد عبدالباقي.

(2) انظر صحيح مسلم 11/3 ط. إستانبول، والنسائي 154/3 وابن ماجة 17/1 ومسند أحمد 311/3.



فهي - في ضرب المثل - كالماء يجري بطبعه، فإذا رُدَّ بِسَكْرٍ وقف عن جريانه، ثم أخذ يعمل في فتح الطريق. فكما ينبغي أن يُتعاهَدَ ذلك السكْرُ بالإحكام فكذلك ينبغي أن تُتعاهد الطباع بالزواجر، ولا ينبغي أن يطول أمد التعاهد. فإنَّ عمل الماء في باطن السكر دائم وإن خفي. وكذلك الطباع في ميلها إلى ما يؤذيها.

ولهذا بُعث الأنبياء بالترغيب والترهيب، وأُنزلت عليهم الكتبُ للتثقيف والتأديب، فما زالوا مبشرين ومنذرين، ثم خلفهم العلماء وقد كان العلماء كلهم يُذكِّرون بفتاويهم وعلمهم][1].

والرقائق موضوع كان يعالجه العلماء والدعاة، وقد أكثر فريقان من الناس في معالجته هما: المتصوفة، والقصاص[2]. وما أكثر ما يكون القاصُّ صوفياً. وكان يغلب على كلامهم في الرقائق اتصافه بأمرين: الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتأثر بالاتجاه الصوفي وخرافاته التي ينسبونها للأولياء والصالحين.

وهناك إلى جانب هذين الفريقين عدد من الوعاظ العلماء ذوي الاتجاه السليم من أمثال الإمام ابن الجوزي[3] الذي كان في وعظه إماماً لا يشق له غبار، وابن القيم في عدد من كتبه. وغيرهما كثير.

وفي هذه الرقائق التي تركها السلف قطع أدبية رائعة، لا تقل في جودتها وجمالها عن المختارات التي يتداولها الدارسون من عيون الشعر والنثر. وقد جمعت طائفة منها في كتابي: «وقفات مع الأبرار» وأزعم أنَّ الأدب العربي خسر شيئاً ثميناً عندما لم يدخل مؤلفو كتب الأدب هذه الروائع في النصوص التي اختاروها، ففيها معان عميقة جديدة عرضت - كما ذكرنا - بأسلوب متين جزل.

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين بتحقيقنا ص ١٧٥ - ١٧٦.
(٢) انظر رسالتنا التي بعنوان «تاريخ القصاص وأثرهم في الحديث النبوي».
(٣) انظر ما كتبناه في ترجمته في مقدمة القصاص والمذكرين.



وللرقائق آثار إيجابية جيدة، ولاسيما إذا عرضت بأسلوب جميل، وفكر أصيل.

فقد تردُّ السامع عن ذنب زلت قدمه فيه وهو ما يزال مقيماً عليه، أو تردُّه عن ذنب يهمّ بارتكابه وتقبحه في نظره، وتُحرِّك في المرء النوازع إلى التوبة فيتوب، ومن تاب توبة نصوحاً تاب الله عليه، وبدل سيئاته حسنات، وتغريه الرقائق بالفضائل الإسلامية الكريمة، والأخلاق الحميدة، وتزينها في قلبه، فيقدم على الاتصاف بها بهمة واقتناع.

وإنها - لعمر الله - لآثار جليلة تدخل السعادة على الفرد والأمة.

وللقلب حالاتٌ ينقاد في بعضها للخير والحق، وحالاتٌ يخضع فيها للشر والشهوة، ويكونُ أحياناً في يقظة تامة وأحياناً في غفلة مستحكمة. ويكون مريضاً حيناً وصحيحاً معافىً حيناً آخر. وهو يحتاج إلى مذكر ومرقق، ومن هنا كانت آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تدعو كلها إلى النصح والتذكير، وتقرر أن الذكرى تنفع المؤمنين.

وإذا كانت الذكرى في كل عصر نافعة، فإنها في عصرنا هذا الذي طغت فيه المادية على الناس ضرورة محتمة لا يمكن أن يجحد ضرورتها إلا مكابر.

والمؤلم إنَّ الواعظ الناجح العالم قليل جداً في أكثر بقاع المسلمين، ونظرة متأملة لخطباء الجمعة تدل على هذه القلة التي نشير إليها... فما أكثر ما نسمع صراخ هؤلاء الجهلة الذين يرتقون منابر المسلمين، وهم لا يقيمون ألسنتهم في قراءة آية من كتاب الله، وقلّما يوردون حديثاً صحيحاً، وتراهم يطيلون خطبهم وهي غثاء ويتكلمون فيما لا يعلمون، ونصيبهم من العلم قليل.

وهناك خطباء أبواق للسلطة يقولون ما يروق للحاكم ولو كان منكراً، ويسكتون عما يرون من المخالفات بل يسوغونها ويؤولونها،



ويمدحون رجال السلطة بما ليس منهم، وقد يعذر المرء في بعض الحالات بأنه لا يستطيع أن يقول الحق لما يخشى أن يجره عليه من البلاء، ولكنه يجب ألا يقول الباطل وليس له عذر إن قاله.

ولو قدر للإمكانات الموجودة في ديار المسلمين أن تتولى هذه المنابر لحدث تغيير في حياة المسلمين، ذلك لأنَّ للكلمة المؤمنة الصادقة أثراً كبيراً.

وأنا أعرف في عصرنا بعض الوعاظ الناجحين، أذكر منهم شيخنا الشيخ زين العابدين التونسي[1] الذي كان من أنجح الوعاظ، فقد كان يُعِدُّ درسه إعداداً جيداً، ويحمل الحاضرين على متابعته، حتى إذا رأى منهم ناعساً كلمه وداعبه وسأله، وكان كثيراً ما يوجه خطابه لواحد من الظرفاء، يسأله فيجيبه إجابة قد يضحك لها الشيخ والحاضرون، ولذا كنت ترى درسه حياً، يشدُّ السامعين إلى متابعة الحديث. وكذلك من الوعاظ الموهوبين الشيخ عبدالحميد كشك الذي حضرت خطبة من خطبه، وسمعت كثيراً من تسجيلاته، ولكنهما لم يكونا يلتزمان إيراد الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط.

نعم هناك بعض الأحاديث الضعيفة صحيحة المعنى رائعة السبك، ولا مانع من إيرادها بشرط أن يُنَبِّه الواعظُ إلى ضعفها[2] ومن هذه الأحاديث «حديث خضراء الدمن» وحديث «وصف القرآن».

وبعد، فهذه كلمات موجزة كُتبت في أوقات متباعدة... كتبتها استجابة لإحساس خاص وشعور ذاتي عِشْتُهُ، والتزمت أن تكون كل كلمة في صفحة واحدة، وبدأتها بهذا النداء (أيها المؤمنون) وهو نداء محبّب

---

(١) كتبت ترجمة له. وستنشر إن شاء الله في كتاب يجمع طائفة من أعلام عصرنا الذي عرفناهم وهو شقيق الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر سابقاً.

(٢) لأنني أرى أن في الحديث الصحيح غنية عن غيره وأرى أن الاحتجاج بالضعيف في فضائل الأعمال قد يدخل الجور على الفكرة الصحيحة وانظر في ذلك كتابي (الحديث النبوي).

إلى القلوب، وإني لأرجو أن يوقظ الإيمان وينميه، لأنه إذا استيقظ ونما صَلَح حال الفرد والأمة.

وقد نشر بعض هذه الكلمات في مجلة إسلامية أسبوعية كانت تصدر في بيروت في زاوية عنوانها (من القلب إلى القلب) وأذيع بعضها في إذاعة الرياض، وكثير منها لم ينشر ولم يذع.

وقد رأيت جمعها في هذا الكتيب لتحفظ من الضياع، ولتذكرني أنا شخصياً.. فما أحوجني إلى أن أذكر بهذه المعاني، وإني لأضرع إلى الله تعالى أن ينجيني من أن أكون في زمرة الذين يقولون ما لا يفعلون. ولعلّ الله ينفع بها من يتاح له أن يقرأها. هذا وينبغي أن لا نزهد في قول كلمة الحق، فما تدري متى تكون القلوب مُتَفَتِّحةً للخير مستعدة لقبول النصح، وينبغي أن لا نهوّن من شأن الكلمة، فكل الرسالات والدعوات كانت كلمات.

وقد حاولت أن أعالج موضوعات هذه الكلمات موصولة بالواقع ومشكلاته، وقد تتعدد الكلمات في موضوع واحد، ولكن كل كلمة تعالجه من زاوية.

ولم ألتزم بتخريج الأحاديث وإن كنت لا أورد إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً وإذا أوردت حديثاً ضعيفاً أشرتُ إلى ضعفه.

وطابع هذه الكلمات طابع وجداني خطابي يحاول إيقاظ المعاني السامية التي هي مستقرة في نفس كل مؤمن.

إن الشخصية الإسلامية كانت في القرن الهجري المنصرم والسنوات التي جاءت بعده هدفاً لعمليات التحطيم والهدم، وكانت محاربتها وَفْقَ مخططات مدروسة تعاونت في تحقيقها قوى مختلفة من عسكرية وسياسية واقتصادية وفكرية واجتماعية، فعلى علماء المسلمين أن يعملوا على ترميم هذه الشخصية ومحاولة إعادة البناء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر موفوراً إلى أخي الأستاذ الدكتور محمد العوا الذي تفضل فقرأ أصول الكتاب، وأبدى عدداً من الملاحظات أفدت منها. فجزاه الله خيراً، ونفع به عباده.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا وأعمالي كلها خالصة له، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وكتبه محمد بن لطفي الصباغ
الإسكندرية ١٧ صفر سنة ١٤١٢ هـ
٢٧ آب سنة ١٩٩١ م

ما أحوجنا إلى الله

١٣٨٨/١٢/٢٨ هـ

أيها المؤمنون!

سعياً إلى الله... ابتغاء مرضاته، وللفوز بجناته، فما أحوجنا إلى الله في هذه الحياة التي تعددت فيها الصوارف عن الحق... ما أحوجنا إلى الله ونحن في واقع أليم... قادنا إليه تنكبنا شرع الله وانحرافنا عن النهج الذي ارتضاه.

... ما أحوجنا إلى الله... ونحن الضعفاء في الحياة، الفقراء إليه وهو سبحانه الغني الحميد، وإليه ـ تعالت أسماؤه ـ المصير.

لنذكر أنَّ ما تعانيه الإنسانية اليوم من قلق وفوضى واضطراب وأزمات مادية ومعنوية يعود إلى أنها نسيت الله، فأنساها سبحانه نفسها، فإذا هي في بحور من المشكلات والمتاعب لا تقف عند حدّ.

والسبيل الوحيد، الذي لا سبيل سواه لإنقاذها، هو الرجوع إليه من جديد، لتجد هذه الإنسانية هناك في رعايته وفي ظل شريعته السماحة والسعادة، والهناء والأمن.

فلنعد إلى الله.

لنحلَّ مشكلاتنا المزمنة التي جربنا فيها كل الأدوية فما أغنتنا شيئاً ولنستروح معاني الخير والطهر والحق والجمال... بعد أن دنست حياتنا المعاصي، وشوهت معالم دنيانا الجميلة الشرور والآثام.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



رجوعاً إلى الله

١٣٨٩/١/٥

أيهـا المـؤمنـون!

رجوعاً إلى الله... فلقد عظم انحرافنا عن الطريق.

رجوعاً إلى الله... لنجد منه النصرة والعزة والقوة والتأييد.

إننا أمة تريد الحياة... ولكننا نشكو الضعف.

ونتطلع إلى تغيير الواقع... ولكننا لا نهتدي أين الطريق؟

أفلم يأن لنا أن نتنبه من الغفلة؟ وأن نصحو من الرقاد؟ وأن نتساءل: أين الطريق؟

لقد جار أدلاَّؤنا في ميدان الفكر، وأضلُّونا السبيل، وغرَّتهم الحياة الدنيا وخدعتهم زخارف المدنيَّة الحديثة، فإذا هم يسيرون في غير الطريق الموصلة للمجد وتبعناهم... فآل أمرنا إلى هذا الواقع المؤلم المرير.

أين الطريق؟ سؤال يفرض نفسه علينا كلما خلونا بأنفسنا وتأملنا في واقعنا.

والطريق يا أخي واضح بيّن، ومعالمه قائمة ظاهرة... إنه الرجوع إلى الله. إنه طريق يبدأ منك أنت، ومني أنا، فاسلكه غير متوانٍ ولا متردّد لتتغير كل هذه الأوضاع الفاسدة التي نتردى فيها وصدق الله العظيم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فلنتب إلى الله... ولنستغفر الله... ولنستحضر عظمة الله وقدرته... ولنتذكر



شرع الله في سكناتنا وحركاتنا حتى تنتظم أحوالنا وأمور معاشنا وفق شرع الله لنترفع ـ يا أيها الإخوة ـ عن أن تكون حياتنا للملاهي والشهوات. فما تستحق الدنيا أن تكون أكبر همنا ومبلغ علمنا.

لنبدِّل هذا النمط المكروه من حياة الضعف والترف والفسولة... ولنتطلع إلى الحياة الأسمى التي أرادها الله حياة قوة وخلق ورجولة... الحياة التي تنطلق من الإيمان بالله والعمل الصالح وتستند إلى تقوى الله وخشيته والعمل ليوم الحساب.

لنتطلع إلى ذلك... ولنعمل على توفيره يبدل الله ضعفنا قوة وذلنا عزاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

لنوثق صلتنا بالله

١٣٨٩/١/١٢ هـ

أيها المؤمنون!

إن الصلة بالله... هي التي تعطي لحياتنا هذه قيمتها.

إن صلتنا بالله... هي التي ترفعنا من المستوى العادي الذي يحياه عامة المخلوقات إلى مستوى رفيع يسمو بنا إلى مصاف الملائكة. إن صلتك بالله - يا أخي - هي التي تجعلك تفسر حوادث الكون ووقائع الحياة التفسير المطمئن الراضي... الذي يجلب السعادة ويورث الأمن، ويدفع إلى مزيد من العمل.

إن صلتك بالله هي التي تنفخ فيك روح العزة إذا ما أظلمت الأيام في وجهك، وتثبت قدميك على الطريق ساعة تقوم الزلازل وتثور العواصف.

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيًّا

فلتوثق صلتك بالله باتباع أمره، واجتناب نهيه، ومناجاته ودعائه، وقراءة كتابه، والاعتزاز بدينه، لترد للحياة اليوم القيمة الثمينة التي كانت لها يوم كانت منقادة لله ولتحيا الحياة الفاضلة التي لا تصل إليها عن غير طريق هذه الصلة بالله.

أحكم صلتك يا أخي بخالقك، واصدق في التوكل عليه، والإنابة إليه ييسر لك سبيل الخير، ويوطىء لك وسائل المجد.





أيها الإخوة المؤمنون يقول ابن القيم[1]: «إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى كبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة».

(١) الفوائد ص ١١٦.

التخفُّف من الذنوب بالتوبة

١٩/١/١٣٨٩ هـ

أيها المؤمنون!

ما أجدر المذنبين أن يعودوا إلى رحاب الله... مستغفرين تائبين.

ابسطوا أيديكم ـ أيها المؤمنون ـ لرحمات الله التي تتنزل في الثلث الأخير من الليل الذي هدأت فيه العيون... وغارت فيه النجوم... وتفتحت أبواب السماء لدعوات المذنبين... ولاستغاثات المنكوبين... ولتضرعات الذين ظلموا أنفسهم من الناس أجمعين. فأقبلوا على الله الكريم الذي لا تنفد خزائنه واسألوه المغفرة والثواب.

ما أحوجنا ـ أيها المؤمنون ـ إلى أن نتخفف من الذنوب فإنها لتثقل الكاهل، ولقد كان سلفنا الصالح يعدُّون الذنوب أخوف من عدوهم.



والطريق إلى الله الآن ممهد، والتخلص من الأوزار الساعة ميسر، أما إذا بلغت الروح الحلقوم وغرغر ابن آدم فقد فاتت عليه فرصة العمر وخسر الخسران المبين، ويندم ولات ساعة مندم.

إنّ التخفُّف يكون بالتوبة النصوح، والتخلص من أعباء الذنوب يحصل بالاستغفار. إنَّ الذنب ليورث القلب جموداً وقسوة حتى يصبح أشد قسوة من الحجارة، فلا تنفتح مغاليقه لخشية الله، ولا يبضّ بقطرة من العاطفة الكريمة أو الخير والحنان.

أيها المؤمنون... إن الناس جميعاً معرضون للمعصية، فكل بني آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون... هذا هو مفرق الطريق بين الطائع



والعاصي. إن المسلم مرهف الحسّ، رقيق القلب، حاضر الفؤاد، إذا ألمت به مخالفة أو زلت به القدم في معصية، فإن الذنب يقض مضجعه ويؤرق منامه، وينغص عليه شرابه وطعامه... ولا يزال كذلك حتى يغسل بماء التوبة والاستغفار رجس الذنب ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣] وحياتنا مملوءة بالمخالفات، ونحن معرضون للوقوع فيها بحكم ضعفنا فإلى الاستغفار فإنه الوسيلة التي تعيدنا إلى الجادة، والوقاية التي تحفظنا من السقوط وتحمينا من الانحراف... وإلى التوبة فإنها الخطوة المتقدمة في حياتنا... لنبك ذنوبنا... ولنتبرأ من معاصينا... لنهجرها ولنعاهد الله على ذلك حتى نكون من المفلحين ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

الاستغفار

أيها المؤمنون!

الاستغفار دواء القلوب، وجلاء الصدور، وسبب دوام النعم وتوالي المنن.

وهو الوسيلة التي بسببها يقوى الإنسان على العودة إلى ما كان عليه من سموّ.

والناس اليوم مقصرون في هذا الأمر الإسلامي العظيم.

أيها المؤمنون، إن كل إنسان معرض للوقوع في المعصية، ولكن المؤمن يحمل بين جنبيه قلباً يقظاً واعياً، إذا زلت القدم بصاحبه تفجرت فيه ينابيع الحسرة على هاتيك الزلة، وسرعان ما يذكر المؤمن ربه وعفوه وعندئذٍ يرجو النجاة والسلامة ويذكر عقوبة الله وبطشه فيلجأ إلى التوبة والاستغفار سيجد ربه غفوراً رحيماً ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. [النساء: ١١٠].

ولهؤلاء المذنبين إن صدقوا في توبتهم الجنات الرائعات ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ





شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

وقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فالتوبة تكفر السيئات وتدخل الجنات... ويبدل الله سيئات التائبين حسنات.

ما أعظم كرم الله، وما أجمل عفوه؛ سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

التوبة... والعزم على الاستقامة

أيها المؤمنون!

أقبلوا على الله بالتوبة النصوح عما مضى والعزم على الاستقامة في المستقبل والقيام بالواجبات قدر الاستطاعة وترك المحرمات في حياتكم الحاضرة. قال ابن القيم:

[هلم إلى الدخول على الله... هلم إلى مجاورته في دار السلام... بلا نصب ولا تعب ولا عناء.. بل من أقرب الطرق وأسهلها. وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك.. وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يُستقبل.

● فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيءٌ لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عملٍ شاق.. إنما هو عملُ قلب.

● وتمتنع في المستقبل من الذنوب، وامتناعك تركٌ وراحةٌ، وليس هو عملاً بالجوارح يشقُّ عليك معاناتُه، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرّك.

● فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يُستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نصبٌ ولا تعب، ولكنَّ الشأن في عمرك، وهو وقتك الذي بين الوقتين:

فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك. وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله بما ذُكِر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم.



وحفظُه أشقُّ من إصلاح ما قبله وما بعده، فإنَّ حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها، وأعظم تحصيلاً لسعادتها. وفي هذا تَفاوتَ الناسُ أعظمَ تفاوت.

فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك.. إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن اتخذت إليها سبيلاً إلى ربك بلغت السعادة العظمى، والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد. وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضت عنك بسرعة، وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذي مُقاساته ومُعاناته أشقُّ وأصعبُ وأدومُ من معاناةِ الصبر عن محارم الله والصبر على طاعته»[الفوائد ١١٥ ـ ١١٦].

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٧ ـ ١٨].

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].



﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

* * *



الدعاء والمناجاة

١٣٨٩/٢/١٠ هـ

أيها المؤمنون!

ليس هناك أعظم لذة من مناجاة الله رب العالمين.

فاسعدوا بمناجاته في الوقت الذي تصفو فيه النفوس، وتحلو فيه الخلوة، وتطيب فيه المناجاة في الثلث الأخير من الليل، في هذا الوقت ينزل ربكم عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول:

هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فاغتنموها فرصة أيها السعداء، وأقبلوا عليه.

واستغفروه إنه كان غفاراً.. فما أكثر الذنوب.

واسألوه أن يرحمكم فرحمته وسعت كل شيء.

واستنصروه واستغيثوا به لأمتكم المنكوبة المفتقرة إلى عون الله ونصرته.

أيها الصالحون! لقد هانت أمتكم وهي أمة المجد، وديست كَرامتها وهي التي لها العزة، واعتدى عليها الأنذال بعد أن كانت القيّمة على شؤون الدنيا، منها القادة، وفيها السادة، ولها الصولة والتمكين في الأرض. وما كان ذلك إلّا لصدودها عن دينها، وتنكرها لمواطن القوة فيها. فاسألوا الله أن يعيدها إلى دينه ليعود لها مجدها وعزتها، ولتستأنف قيادة الإنسانية في طريق الخير والحق والعدل، طريق الإسلام... إنَّ أبواب السماء مفتحة،





وإمكانية الإجابة قائمة... فلا تملوا من الدعاء لأنفسكم وأمتكم، فلعلّ صالحاً منكم تستجاب دعوته.

واعلموا أن خزائن مولاكم لا تنفد، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء ولا يشغله شيء عن شيء، يجيب دعوة المضطر، ويكشف السوء.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].



الجنة

٢٦/٢/١٩٨٩ م

أيها المؤمنون!

هلموا إلى الدخول على الله.

هلموا إلى مجاورته في دار السلام.. موضع تنزل رحمات الله.

تعالوا إلى النعيم المقيم.. والسعادة الأبدية في رحاب الله.

تعالوا إلى الجنة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للفائزين من عباد الله.

سابقوا ـ أيها الأخوة ـ إلى تلك التجارة الرابحة التي تنتهي بصاحبها إلى الصلاح والرشاد ورضوان الله.

أيها المؤمنون!

الجنة مفتحة أبوابها للمتقين.. وقد مهد الله سبحانه الطريق إليها وأقام عليه المعالم ولا تحتاجون لتكونوا من أهلها إلا إلى العزم على الاستجابة لنداء الله.

فالجنة بغية المؤمنين، ومآل المفلحين، ودار السلام.. دار المتقين.

والجنة نزل الطمأنينة والأمن للصادقين، وملتقى الأنبياء والصالحين.

وأنتم ـ أيها المؤمنون ـ مدعوون إلى هذه الدار فَهَلُمُّوا وأجيبوا دعوة الله.



﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥].

وعليكم أنتم يا من استجبتم لدعوة الله أن تسارعوا إلى الجنة: العالم الذي لا تغيب عنه شمس السعادة... الجنة التي تتراءى أمانيها العِذاب لعيني المسلم في الصباح والمساء، تدفعه إلى الفضيلة، وتحفزه إلى المجد، وترغبه بنبذ الحياة الرخيصة المائعة المهينة.

... الجنة التي هي الأمل الحي الذي يمسح بنداه المضمخ بشذا الرضى على بؤس الفقر والمرض والإخفاق، فيحيل ذلك كله إلى طمأنينة ونعيم وسعادة وهناء.

ألا فلتذكروا هذه الجنة أيها المؤمنون، ولترتفعوا بنفوسكم إلى ذاك المستوى الرفيع، ولتسلكوا طريقها.

وضعوا نصب أعينكم هذا الحكم الحاسم:

﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].



الوقت

٢/٢/١٣٨٩ هـ

أيها المؤمنون!

اعملوا لآخرتكم ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾ [لقمان: ٣٣].

تكر الأيام والليالي، وينقضي العمر.. ولا ينتبه المرء من لعب الصبا وقد أثقلته أعباء الكهولة، ولا يستريح من أعمال الشباب حتّى تحني الشيخوخة ظهره.. ثم يأتيه الأجل المحتوم.

أفليس جديراً بنا أن نقف قليلاً للحساب: حساب أنفسنا، ومراجعة ما مضى منا وتقويمه بمقاييس شرع الله؟

إن هذه الوقفة المتأملة، وتلك المراجعة الواعية ضرورة تفرضها الرغبة في النجاة يوم القيامة.

الوقت ـ يا أخي ـ منصرم لا محالة، وأنت تمضي قُدماً نحو أجلك، والحكم عليك أو لك متوقف على تصرفك في أيامك، وقضائك للحظات عمرك.. فالوقت إذن رأس مالك.. ومن رحمة الله بنا أن جعل سبيل الاستفادة منه ميسوراً حتى يصبح مركباً يبلغ براكبه شاطىء السلامة والفلاح إن هو استقام على شرع الله. فتأملوا أيها الإخوة المؤمنون في ماضيكم، وحاضركم، وتطلعوا إلى مستقبلكم، فأمس ذهب ولن يعود... ولكن قد بقيت التوبة والعبرة، فبصدق التوبة وحسن الإنابة، وعميق الإيمان، وصالح العمل تستطيع يا أخي أن تبدل سيئات ماضيك إلى حسنات. واسمع البشرى



من كتاب الله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وأمس بعد ذلك عظةٌ وعبرةٌ تنتفعُ من تجاربك فيه، فيجنبك وعيه الوقوع في المخالفة، وينأى بك عن مواضع الخطر.

واليوم غنيمة مبذولة، فاستفد من حاضرك، واحذر أن يجدك ربك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، وتذكر يا أخي أن أعمالك محصاة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كتاب يقول فيه المجرمون: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

فاغتنم يومك، وخذ فيه من صحتك لمرضك، ومن غناك لفقرك، ومن حياتك لموتك، بادروا إلى الطاعات في يومكم قبل أن يحال بينكم وبين ما تريدون... بادروا يا إخوة بالأعمال سبعاً: فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً منسياً أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر.[1]

وغدٌ بيد الله غيبٌ من الغيب لا تدري ما الله صانع فيه، فاعزم على الخير فيه، واعلم أنَّ العزم على الخير خير يقود صاحبه إلى الجنة، وما أظنك إلا أنك سمعت بنبأ ذاك القاتل الذي قصه علينا رسول الله ﷺ قتل مائة نفس غير أنه أقبل على الله تائباً فغفر له، وعزم على الخير فأدخله الجنة[2] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(1) هذا نص حديث ضعيف رواه الترمذي عن أبي هريرة ٢/ ٢٥٧ وقال: هذا حديث غريب حسن لا نعرفه إلا من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون اهـ ومحرز واه وانظر «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٤٢ ولذلك لم أورده حديثاً

(2) الحديث متفق عليه انظره في «صحيح البخاري» ٤/ ١٢٩ و«صحيح مسلم» ٤/ برقم ٢٧٦٦



القرآن .. وحاجة الإنسانية إليه

أيها المؤمنون!

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على عبده ورسوله محمد بن عبدالله، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المعجز للجن والإنس.. الذي أخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور... من الشرك إلى التوحيد.. من الظلم إلى العدالة.. من التعاسة إلى السعادة.

هذا القرآن هو سرّ وجودنا وبقائنا، سُدْنا العالم يوم أن حكَّمناه، وآلت أحوالنا إلى ما تعرفون يوم أن أعرضنا عن هديه.

هذا القرآن هو الذي تحتاجه الإنسانية اليوم.. الإنسانية المعذبة الحائرة القلقة التي أرادت أن تتعرف إلى طريق الخلاص وسبيل النجاة فما اهتدت إليه.

والمشكلة كامنة في أن هذه الإنسانية محتاجة إلى أن ترى واقعاً اجتماعياً وسياسياً يقوم على هذا الكتاب العظيم.. فالمسلمون حملته بعيدون عن تعاليمه بعداً يختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن فرد إلى فرد... في حياة كثير منهم الكذب والغش، والإسلام يدعو إلى الصدق والنصح.

وفي حياة كثير منهم القذارة والانحراف، والإسلام يدعو إلى النظافة والاستقامة... إن هذا القرآن يدعو للتي هي أقوم.



أيها المؤمنون!

نريد طليعة تحيا للقرآن ووفق أحكامه، ولا يكون القرآن في حياتها نغماً يطرب له السامعون، ولا تراتيل تفتتح بها الحفلات، ولا تعاويذ تقرأ في المآتم.

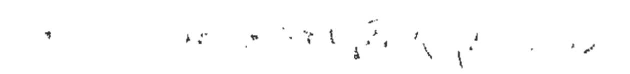
واحذروا يا عباد الله من أن تكونوا ممن يقرأ القرآن، والقرآن يلعنه.

لقد سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

والقرآن رحمة وشفاء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

إنّ المؤمنين الذي يعملون به ينعمون بتلك الرحمة وبذلك الشفاء أما الظالمون الذين يعرضون عنه فإنه لا يزيدهم إلا خساراً.

وقال تعالى عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].





القرآن مصدر فضائلنا

أيها المؤمنون!

القرآن كتاب الله العظيم هو سبب عزتنا، ومصدر فضائلنا...

عليه قامت حضارتنا، ومن روحه السامية فاضت بطولاتنا، وعلى هداه الأمين كانت تنطلق قوافلنا مبددة ظلام الدنيا، مسددة خُطا أبنائها على طريق الحق... قائدة جموعها إلى الخير.. ومن بحره الزاخر استمدت علومنا...

هذا الكتاب المبين، والدستور القويم، أعرض عنه كثير من المسلمين فأعرضت عنهم العزة والسيادة، وتجهموا لأحكامه.. فتجهمت لهم الكرامة والسعادة.

أليس من المؤسف أن يتحول هذا! الكتاب الكريم إلى ترانيم يطرب لها السامعون بعد أن كان حقائق يعيها المسلمون، وبها يعملون، أليس من المؤلم أن يعود تراتيل تلتمس بها البركة في مطلع الحفلات، وتبتغى الرحمة من ترديدها في المآتم، بعد أن كان كتاباً للحياة يرسم لها طريق السموّ والطهر والكمال، ويقيم المسلمون حياتهم الفاضلة على أسسه الكريمة؟؟

أيها المؤمنون!

ألا فاعمروا قلوبكم بهداه، واستنيروا بنوره، وأكثروا من تلاوته، والتزموا تعاليمه.





لنعد إليه... ففيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، نتدبره ونحياه.. فإنه الصراط المستقيم، والذكر الحكيم... ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله... لنعد إليه فإنه الملاذ الوحيد: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].



عودة إلى كتاب الله

أيها المؤمنون!

كتاب الله هو الحبل المتين الذي لا بُدَّ للمسلمين من الاستمساك به في الأزمات، والاحتكام إليه في الحياة، فعليك يا أخي بتدبره وتلاوته.

فما استمسك به امرؤ إلا نجا.

ولا حكم به إمام إلا عدل.

ولا قامت على قواعده دولة إلا عزت وسادت.

ولا تجاهلته جماعة أو أمة إلا انحدرت وانهارت.

لقد كان هذا الكتاب الكريم دعامة حياتنا فإذا بنا نضحي سادة الدنيا، وقادة العالم.. ولما أن اتخذناه وراءنا ظهرياً نردده دون فهم، وننحيه في كثير من ديارنا عن الحياة آل أمرنا إلى ما نعرف...

فإلى هذا الكتاب الكريم ينبغي أن تكون عودتنا، وإلى مبادئه السامية العظيمة ينبغي أن تكون دعوتنا، وإلى مثله العليا ينبغي أن تتطلع مناهج التعليم ووسائل الإعلام وخطط التربية العامة والخاصة في بلادنا.

وعليك أنت أيها الأخ المسلم أن تشرع في تحقيق الحياة القرآنية التي نادى بها هذا الكتاب.. ليكون لك ـ إن عملت به أنت وأمثالك ـ المجتمع القرآني... ويومئذ تتحقق سعادتك الكاملة وسعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة.



السنة

أيها المؤمنون!

السنة هي المصدر الثاني في شريعة الإسلام، ولها منزلة عظمى فيها، فالتزام أمرها التزام للشرع قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وهي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره ووصفه.

وقد أكرم الله هذه الأمة التي تحمل الرسالة الخاتمة، فألهم علماءها العزم على خدمة السنة، ووفَّقهم إلى وضع قواعد رائعة في التثبت مما يروى عن الرسول ﷺ، لم يصل العقل البشري إلى أدق منها ولن يصل.. حتى إن الحديث الذي تحكم له هذه القواعد بالصحة تطمئنُّ لصحته النفس والعقل اطمئناناً كاملاً.

والسنّة هي الهدي الذي لا بد للمسلم من تحكيمه حتى يكون من المؤمنين قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

والسنة صنو الكتاب الكريم، وعليهما يقوم بناء الشريعة الإسلامية المطهرة، وبهما عصمة أمورنا، واستقامة أحوال أمتنا، فاحذروا من دعوات هدّامة تريد هدم الدين تشكّكُ في السنة يرددها قوم مغرضون عميت





بصائرهم وماتت قلوبهم، وآخرون جهلة مغفلون، لا يدرون عن حقيقة هذا العلم شيئا. واحذروا كذلك أن تنسبوا للنبي ﷺ قولاً لستم متأكدين من صحته ووثوق نسبته إليه، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

واذكروا قوله ﷺ: «من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1] وقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».[2]

والله يتولانا ويتولاكم بالسداد والتوفيق.

---

(1) رواه مسلم ١/٧ والترمذي ٢/٢٧٢ وابن ماجه ١/١٤-١٥

(2) هذا حديث متواتر رواه أصحاب كتب السنة وانظر كثيراً من طرقه في "تحذير الخواص" بتحقيقنا و "الأسرار المرفوعة" للملا علي القاري بتحقيقنا أيضاً للسيوطي



الشكر

أيها المؤمنون!

اذكروا نعم الله عليكم التي لا تُحصى، واشكروه عليها حق الشكر إن استطعتم، لقد استخلفكم في الأرض ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] وأطعمكم من جوع وآمنكم من خوف، وأنزل عليكم من السماء ماء فأخرج لكم به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم البرَّ والبحر والدواب، وهيأ لكم من وسائل الراحة والرفاهية، ومن فنون الطب والدواء ما لم يكن يحلم به أسلافكم ليبلوكم: أتشكرون أم تكفرون؟

واعلموا أيها الأخوة في الله أنه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

اشكروا نعم الله العديدة باستعمالها فيما يرضيه يزدكم من فضله وخيره ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

اشكروا نعم الله باللسان والجنان، والفعال، فذلك الشكر الذي يبلغ بكم مرضاة الله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ



﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧].

إن شكر النعمة - يا أيها الأبرار - يجعل العبد متواضعاً وقافاً عند حدود الله، لا يبطر ولا يتجبّر، ولا يدّعي ما ليس له، ولا يرقى بنفسه فوق قدرها.

والشكر من صفات أهل الجنة وصدق الله العظيم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ما أكثر نعم الله

أيها المؤمنون!

ما أكثر نعم الله عليكم.. لقد أوجدكم من العدم.. وهيَّأ لكم من يتعهدكم في طفولتكم وضعفكم بالرعاية حتى تبلغوا أشدكم.. ووهب لكم السمع والبصر والفؤاد.. فعلمتم بسببها أشياء كثيرة ما كان لكم أن تعلموها لولاها.

وآتاكم القوة وعافاكم من البلاء وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وما في البر والبحر.. والنبات والدواب قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وحباكم بنعمة الإيمان التي لا تعدلها نعمة: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

وجعل لكم أزواجاً لتسكنوا إليها وبنين تكاثرون بهم وحفدة يحيون





ذكركم وطيبات لا تحصى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وأينما سرحت نظرك في كتاب الله وجدت التذكير بنعمه. واقرأ معي يا أخي هذه الآيات: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٠ - ٦٣].

لئن شكرتم لأزيدنكم

أيها المؤمنون!

اشكروا نعم الله عليكم... فما أكثرها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

اشكروه على نعمه يزدكم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

واعرفوا قدر هذه النعم، ولا تبخسوها حقها، واحذروا أن تحقروها وإياكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تكونوا ممن لا يعرف قدر النعمة إلا بعد زوالها، فكم من عبدٍ كان في نعمة جليلة أنعم الله بها عليه فلم يقدرها قدرها.. وملَّها.. وطلب الانتقال منها.. حتى إذا ضاق ذرعاً بتلك النعمة، وسخطها سلبه الله إيَّاها.. وعندئذٍ يظهر له التفاوت بين ما كان فيه وما صار إليه(١).. ويندم.. وتتجلى له قيمة النعمة... ولكن بعد فوات الأوان.

وإنها لكارثة على المسلم، أن يملَّ نعم الله... إنه حينئذٍ لا يراها نعماً، ولا يشكر خالقه عليها، بل يسخطها ويتبرم منها.. وهذا كفران النعمة وجحودها.

أيها المؤمنون!

اعرفوا قدر نعم الله عليكم في أبدانكم ونفوسكم، وقلوبكم وعقولكم،

---

(١) فصل ابن القيم في هذا المعنى في الفوائد ص ١٨٠.





وطعامكم وأمنكم، ومالكم وأهلكم، وفي مأواكم وأحوالكم. واشكروها بألسنتكم وبأعمالكم، واستعملوها في مرضاة الله يزدكم من فضله فقد وعد الشاكرين بالزيادة ومن أصدق من الله قيلًا، إنه سبحانه يعدكم بالزيادة ووعده حق، وهذا حض على القيام بالشكر ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾. [إبراهيم: ٧].

أيها المؤمنونَ افتحوا قلوبكم، وأصيخوا أسماعكم إنَّ في الآية ترغيباً وترهيباً يخلع القلوب ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾. [إبراهيم: ٧].



شكر نعمة العافية

أيهـا المـؤمنـون!

احمدوا الله على نعمة العافية.. واشكروه عليها..

إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى. والسعيد من عرف النعم في أثناء وجودها، فقام بحقها، وأحسّ بقيمتها، واستمتع بمزاياها.

إن مال الدنيا كُلَّه لا يعدل **ألماً** يعتري الإنسان في عضو من أعضائه، أو **حسرةً** على حاسّة من حواسِّه فقدها، أو **قدرة** عُطِّلت في جسمه.

نعم إن الخلاص من الأوجاع والآلام نعمة عظمى، والبصر والسمع والعقل والقدرة على قضاء الضروري من الأمور في الحياة... كل أولئك من المنن الجليلة التي لا تقدر.

سألت مرة طبيباً: كم عدد الأمراض؟ فقال: إنها آلاف وآلاف تفوق الحصر.

فقلت له: إذن ما أعظم نعم الله على عباده الأسوياء المعافين! إنَّ العافية منها نعم بعددها.. فأنت أيهـا المعافى مغمـور بآلاف وآلاف من النعم تفوق الحصر.

وإن شكر نعمة العافية والسلامة لا يكون في اللسان فقط. بل شكرها الحقيقي أن تُستعمل تلك الحواسّ والقدرات في طاعة الله وعبادته وحده، والإحسان إلى عباده.



لئن كنت ـ يا أخي ـ تقوم وتقعد، وتسمع وتتكلم، وتبصر وتفكر، وتعمل وتعقل إن هناك عدداً من الناس المشلولين العاجزين الصم البكم العمي.. فكم أنت مغمور بهذا الفيض من النعم. فاحمد الله أن عافاك، واجعل قوتك عوناً لك على الفوز يوم يقوم الناس لرب العالمين.

نعمة الحواسّ . . وشكرها

أيها المسلمون!

إن من شكر نعم الحواسّ . . التي منَّ الله بها عليك أن تستعملها فيما يوصلك إلى رضوانه. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

إنك يا أخي مسؤول عن هذه الحواس، فاسمع الحق سماع وعي وتنفيذ، وأبصر آياته التي بثها في هذا الكون لتقودك إلى الإيمان، وافقه بفؤادك حقائق الدين واحذر أن تكون ممن قال فيهم:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥].

إنها صفات الكافرين الذين كذبوا بآيات الله كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وإن مصيرهم لإلى النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفقنا الله إلى أن نستخدم هذه النعم فيما يرضي ربنا، ويبلغنا جنته، ويباعدنا من النار.



من نعم الله النطق وتسخير الشمس

أيها المؤمنون!

اشكروا نعم الله عليكم وإنها غير محدودة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. إنها تغمركم من فوقكم ومن تحت أقدامكم وعن أيمانكم وعن شمائلكم، وسأورد لكم تذكيراً بنعمتي النطق والشمس من كتابه الأستاذ سيد قطب رحمه الله قال غفر الله له:

[كنا نجلس جماعة نتحدث، وتتجاوب أفكارنا وتتجاذب، وتنطلق ألسنتنا بكل ما يخطر لنا على بال، ذلك حينما جاء قطنا الصغير «سوسو» يدور هنا وهناك من حولنا، يبحث عن شيء، كأنما يريد أن يطلب إلينا شيئاً ولكنه لا يملك أن يقول، ولا نملك نحن أن ندرك، حتى ألهمنا الله أنه يطلب الماء، وكان هذا. وكان في شدة العطش، وهو لا يملك أن يقول ولا أن يشير. . وأدركنا في هذه اللحظة شيئاً من نعمة الله علينا بالنطق واللسان، والإدراك والتدبير، وفاضت نفوسنا بالشكر لحظة. . وأين الشكر من ذلك الفيض الجزيل.

وكنا فترة محرومين من رؤية الشمس، وكان شعاعٌ منها لا يتجاوز حجمه حجم القرش ينفذ إلينا أحياناً. وإن أحدنا ليقف أمام هذه الشعاع يُمرِّره على وجهه ويديه وصدره وظهره وبطنه وقدميه ما استطاع، ثم يخلي مكانه لأخيه لينال من هذه النعمة ما نال! ولست أنسى أول يوم بعد ذلك وجدنا فيه الشمس. لست أنسى الفرحة الغامرة والنشوة الظاهرة على وجه





أحدنا، وفي جوارحه كلها، وهو يقول في نغمة عميقة مديدة.. «الله! هذه هي الشمسّ شمس ربنا وما تزال تطلع.. الحمد لله!».

فكم نبعثر في كل يوم من هذه الأشعة المحيية، ونحن نستحمُّ في الضوء والدفء، ونسبح ونغرق في نعمة الله؟ وكم نشكر هذا الفيض الغامر المتاح المباح من غير ثمن ولا كدّ ولا معاناة؟؟!

وحين نمضي نستعرض آلاء الله على هذا النحو فإننا ننفق العمر كله، ونبذل الجهد كله، ولا نبلغ من هذا شيئاً. فنكتفي إذن بهذه الإشارة الموحية، على طريقة القرآن في الإشارة والإيماء ليتدبرها كل قلب، ويمضي على إثرها، قدر ما يوفقه الله لنعمة الشكر، وهي إحدى آلاء الله، يوفق إليها من يستحقها بالتوجه والتجرد والإخلاص..][1].

اللهم وفقنا لشكر نعمك كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

(١) الظلال ٢٢/٧٠. [illegible]



نداء إلى السائرين والمنقطعين

أيها المؤمنون!

الناس في اعتبار الروح بين سائر ومنقطع..

ومصلحة الإنسانية في أن يكثر الرواد السائرون، وأن يتابعوا سيرهم طليعةً خيّرةً. وفي أن يُنَبَّهَ المنقطعون إلى المخاطر التي تحدق بهم والتي تكاد تحلهم دار البوار. فإلى هؤلاء وأولئك هذا النداء:

● أيها السائرون في الطريق إلى الله... أيها القائمون في محراب العبادة ترومون الفوز برضوان لله.. أيها الراكعون الساجدون تنزهون الله وتسبحونه.. أيها الجاثمون على ركبكم تجأرون إلى الله.. أيها المتجافون عن المضاجع تدعون ربكم تضرعاً وخفية.. طوبى لكم.. وهنيئاً لكم.. بكم يرفع البلاء، وبكم يعمّ الرخاء، وبطهارتكم تستقيم الحياة على الجادة، وترتفع إلى المستوى الأسمى.. فسيروا على بركة الله واستمروا في طريقكم، واذكروا المنقطعين الذين سقطوا على الطريق.. اذكروا يا أيها الأبرار مصاب أمتكم.. ادعوا لها.. واعملوا على إنقاذها.. ولا تيأسوا من متابعة الدعاء والعمل، فرحمة الله قريب من المحسنين.

● أما أنتم أيها المنقطعون.. أيها الراقدون في مهاد الأمل والأماني.. أيها الهائمون في عالم الخيال والرجاء.. أيها المستسلمون لداعي الترف الآثم والرخاء.. أيها الناسون أنفسكم فأضعتم الواجبات ووقعتم في المحرَّمات.. اذكروا أنفسكم.. وتدبروا واقعكم.. وتلافوا أخطاءكم.. أفيقوا قبل أن تلفكم موجات المنية الطاغية، فما تزالون حتى



الآن قادرين على سلوك الطريق.. إنكم في فسحة فتداركوا أمركم ولا تؤجلوا ولا تسوّفوا.. ولا تقنطوا من رحمة الله ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

بين الخوف والرجاء

أيها المؤمنون!

المؤمن بين خوف ورجاء:

خوف من الله وعذابه يحول بينه وبين المعاصي، ورجاء لما عنده من الخير يفتح في نفسه معاني الأمل ويحفزها إلى العمل الصالح.

والوضع الأمثل أن يقوم توازن دقيق بينهما في حياة كل مسلم ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩].

ولئن تعذّر هذا التوازن ولم يكن بُدٌّ من أن يكون أحدهما أرجح من الآخر إنَّ من الخير للمسلم أن يغلب عليه الخوف، ذلك لأن الخوف من الله رأس كل فضيلة وذروة الحكمة.

.. إن الخوف من الله يرتبط ـ يا أيها المؤمنون ـ بالإيمان، فكلما زاد إيمان المؤمن زاد خوفه من الله رب العالمين.. ولو خاف الناس من الله لامحت في حياتهم كثير من مظاهر الانحراف.

وإن الموقف السليم يقتضيك يا أخي الخوف من الله، ذلك أنك إذا استقر في أعماقك أن الله مطلع على كل شيء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه تبارك وتعالى عظيم القدرة، شديد الحساب، أليم العذاب.. فكيف بعد هذا لا تخشاه ولا تخافه ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ [التوبة: ١٣].





هذا وإن كثيراً من الناس يُغَلِّبُونَ جانب الرجاء: تراهم يسرفون على أنفسهم ويطمعون في جنته ورحمته، ولـذا فهم لا يبالـون بموعـظة، ولا يستجيبـون لقـول حسن.. ويتمنـون على الله الأمـاني.. إنهم لعـاجـزون «العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»[1].

أيهـا المـؤمنـون!

من هنا يكون الهلاك.. ومن هنا يؤتى الناس.. ليس الأمر بالتمني، ولكنْ من يعمل خيراً يجز به وصدق الله العظيم.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ ـ ١٢٤].

(١) وهذا حديث معناه صحيح عظيم، وإن كان سنده ضعيفاً.



مراقبة الله

أيها المـؤمنـون!

اخلصوا قلوبكم لله. . راقبوه في أعمـالكم. . واعلموا أنـه سبحانـه مطلع عليكم، ناظر إليكم، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.(١)

لا يسبقه مسيء، ولا يفلت منه مجرم ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤].

وأعمالكم محصاة عليكم في كتـاب لا يغادر صغيـرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأنتم محاسبون عليها الحساب الدقيق.

وحذار أن يكون في قلوبكم سوى الله، فإنه سبحانه لا يقبل عمـل امرىء كان في قلبه شيء من الشرك «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» واعلمـوا ـ يا أيها الأحبة ـ أن ثمرة الإخلاص النجاح في الدنيا والفـوز الأعظم يـوم القيامة.

فـإذا أردتم أيهـا المؤمنـون أن يستجيب النـاس لكم وأن تفـوزوا برضوان الله فـأخلصوا قلوبكم وأعمـالكم لله، ولا تبتغوا من حـركاتكم إلا ثواب الله.

اقبلوا على الله تُقْبِلْ عليكم الخيرات، وتحفَّ بكم البركات وتتنـزل فوقكم الرحمات وتفوزوا فوزاً عظيماً.

(١) هذا جزء من حديث جبريل وقد رواه مسلم في صحيحه عن عمر ١/٩ح



اعبد الله كأنك تراه

أيهـا المـؤمنـون!

راقبوا الله واخشوا يوماً تعرضون فيه على الله.

ليكن شعاركم في حياتكم يا أيها الإخوة هذا القول العظيم «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] تستقم لكم أمور الحياة كما يريد الله ويرضى، إن ما يعتري المؤمنين من انحراف وضعف، وإسراف على النفس وتفريط في حق الله.. إن ذلك كله يعود إلى ضعف معنى المراقبة.

أيهـا المـؤمنـون!

إن المسلم الذي يتصرف في حياته متصوراً أن الله مطلع على ظاهره وباطنه عالم بهواجسه، يعلم السر وأخفى، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. إن الذي يتصرف بناء على هذا التصور لا يمكن أن يعصي الله، ولا أن يتخلف عما أمره به، ولا أن يكون حيث نهاه الله. وبذلك تجري شؤون حياته وفق شرع الله.

... ألا فراقبوا الله.. واحذروه.. واذكروا دائماً قول الرسول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[2].

---

(١) رواه مسلم ٢٩/١

(٢) رواه الترمذي ١٤١/٤ والدارمي ٢٢٢/٢ وأحمد ١٥٢/٥



تأملوا في ملكوت الله وفي أنفسكم

أيهـا المـؤمنـون!

تأملوا في ملكوت الله الواسع.. وتفكـروا في هذا الكـون العظيم، بسمواته وفضائه، وعوالمه وكواكبه، وفي انتظام أموره.

تـأملوا في الأرض التي تعيشون عليهـا بجبالهـا الشاهقة، ووديـانهـا العميقة، وسهولها الفسيحة، وقاراتها الواسعة، وأنهارها وبحارها، وأجيال البشر الذين عمروها فيما مضى، أكثر ممـا تعمرونهـا، وحزنـوا وفرحـوا، وقاتلوا وصاولوا، وسيطرت الدنيا على كيانهم وهم اليوم تراب من التراب ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

أيهـا الأحبة في الله!

ليتأمل كل واحد منا في نفسه التي بين جنبيه، وفي تكوين جسمه الدقيق، وأجهزته المحكمة ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].



وازنوا - أيها الأبرار - بين هذه الكرة الأرضية وبين العوالم العظيمة التي استطاع علم الإنسان أن يصل إليها.. تَبْدُ لكم هذه الكرة الأرضية كحصاة في فلاة.. فكيف لو وازن أحدنا بين ذاته وبين هذا الكون العظيم.. ما حجمه؟ ما أثره؟.. إنه لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً.

أيها المؤمنون!

كم نحن بحاجة إلى التأمل العميق بين الفينة والفينة.. ليصقل كل واحدٍ منا إحساسه، وليعرف نفسه، وليدرك عظمة الخالق العظيم، ولتبدو له الحياة الدنيا على حقيقتها التافهة، والمطامع الذاتية على ضآلتها الحقيرة ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [القصص: ٦٠].

﴿ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

التفكر في خلق الله يدل على عظمة الله

أيها المؤمنون!

تفكروا في خلق السماوات والأرض.. لتتبينوا عظمة الله وقدرته. تفكروا في هذه السموات العلى.. وفي هذه الأفلاك العظيمة والكواكب التي لا يحصيها العدّ، إنّ رحلة فضائية بسيطة يقوم بها الإنسان يؤخذ بروعتها كل من يقف على أنبائها، فما بالكم يا أيها الأحبة بهذا الكون الفسيح الأرجاء...

تفكروا في الأرض التي عليها تقيمون، كيف ذللها لكم فمنها تأكلون، وفي دروبها تسيرون، وإليها تأوون وتستريحون، تفكروا في مناخها: فهنا برد.. وهناك حرّ.. وههنا نبات وخضرة ومياه.. وهنالك رمال وجدب وإقفار.

تفكروا في النبات يسقى بماء واحد.. ويتفاوت طعم ثمره حلاوة ومذاقاً.

تفكروا في هذا السحاب الذي يملأ جوانب الأفق.. ثم يتكاثف ويتحول إلى ماء يحيي موات الأرض، ويبث الحيوية في الموجودات... تفكروا في هذه الشمس السراج الوهاج الذي ينشر في دنيانا الدفء والحرارة والنور والغذاء والحياة المتدفقة.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ



فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

إن ذلك كله ليدل على القـدرة العظيمـة التي أبدعت هـذا الكون العظيم وليقود إلى الإيمان.

الخشوع[1]

أيها المؤمنون!

الصلاة عماد الدين، وروح الصلاة الخشوع.

ولقد أثبت الله تبارك وتعالى الفلاح للمؤمنين الذين تتوافر فيهم صفات معينة: أولها الخشوع.. فقال عزّ من قائل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

والخشوع يا أيها الأحبة ثمرة الإيمان الصادق بعظمة الله وقدرته وجلاله، ونتيجة اليقين العميق بعظيم اطلاعه سبحانه على أحوال خلقه، وبكبير تقصير العباد نحو خالقهم، وتفريطهم في جنب الله.

ومن أجل ذلك فصاحب القلب اليقظ يقف في صلاته بكل خشوع، وبكل تذلل إلى الله وافتقار إلى رحمته سبحانه. ومتى استولت هذه المعاني على قلب المصلي لم تستطع المشاغل والصوارف أن تصنع شيئاً في قلبه.

إنّ هذا الخشوع يُفيضُ الراحة والطمأنينة والرضا على صاحبه، وإنَّ ذاكَ الذلَّ إلى الله يُحرِّره من كل خضوع لما سوى الله، وإنَّ العبودية لله تحرر المؤمن من كل ألوان العبودية التي يرسف في قيودها معظم الناس في كل زمان ومكان. /

---

(١) انظر رسالة لي في الخشوع وهي فصل من كتاب «توجيهات قرآنية في تربية الأمة» نشر المكتب الإسلامي.

أيهـا المـؤمنـون!

إن القلب الذي يخشع لله ليمتلىء عزة بصلته بالله فلا يبقى فيه مكانٌ تَحِلُّ فيه رهبةٌ أو رغبةٌ لسوى الله.

ومن هنا كان أسلافنا ـ يا أخي ـ رهباناً في الليل فرساناً في النهار، فإلى الخشوع يا أيها المصلون لتكونوا من السعداء في الدنيـا، المقربين من الله الفائزين المفلحين.

الدنيا

أيهـا المـؤمنـون!

مما ينسب لعلي رضي الله عنه قوله:

[أما بعد، فـإن الدنيـا قد أدبـرت، وآذنت بوداع، وإنَّ الآخـرة قد أشرفت باطلاع، ألا وإنَّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسَبَقَةُ الجنة، والغاية النار.

أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عاملٌ لنفسه، قبل يوم بؤسه؟ ألا وإنكم في أيام أمل، من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله، قبل حضور أجله، نفعه عمله، ولم يضرره أجله.

ومن قصر في أيام أمله، قبل حضور أجله، فقد خسر عملُه، وضرَّه أجلهُ.

ألا فاعملوا في الرغبة، كما تعملون في الرهبة.

ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وإنه من لا ينفعْهُ الحق يَضْرُرْهُ الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يَجُر به الضلال إلى الردى.

ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى، وطولُ الأمل، تزودوا من الدنيا ما تحرزون أنفسكم به غداً]

نهج البلاغة ١/ ٦٨



ومما ينسب له أيضاً:

[إنكم لو عاينتُم ما قد عانى من مات منكم لجزعتم ووهلتم (خفتم) وسمعتم وأطعتم. ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينـوا، وقريب مـا يطرح الحجـاب، ولقد بُصَّـرتم إن أبصرتم، وأسمعتم إن سمعتم، وهـديتم إن اهتديتم، بحق أقول لكم لقد جاهرتكم العبر، وزجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلِّغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر]

نهج البلاغة ١/٥٣ ـ ٥٤

* * *

الدنيا هي دار العمل

أيها المؤمنون!

حياتنا الدنيا أوان الكسب.. فإذا انتقلنا إلى الآخرة كان الجزاء والحساب

إذا مات ابن آدم انقطع عمله.. والزمان يمضي.. والعمر ينقضي.. والوقت يتقدم بنا مسرعاً إلى آجالنا.. إلى ذلك الوقت المعلوم، والأجل المحدد الذى إذا جاء لا يؤخر ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

ونهاية الحياة هنا في الدنيا بداية حياة برزخية ثم تكون الحياة الآخرة.. الحياة الأبدية السرمدية التي لا تنتهي ولا تبيد.

وليس لنا من كسب إلا في حياتنا الدنيا التي نحياها اليوم.. فأنتم اليوم يا أيها المؤمنون في فسحة تستطيعون أن تعملوا، فاستفيدوا من هذه الفرصة قبل أنْ يحال بينكم وبين العمل... وإن أمنية المقصر والعاصي والكافر أن يرجع إلى الدنيا ليعمل حتى ينقذ نفسه من العذاب الأليم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] فأنتم الآن في الأمنية العظمى.. إن هذه الحقيقة تستدعي العمل.





واعلموا أنَّ علم الله واسع.. وأنَّ أعمالنا محصاة مسجلة، وسنرى هذه الأعمال مهما دقت وصغرت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

فسارعوا إلى العمل الصالح، وسابقوا الآجال فما تدرون متى تكون، والمغامرة رهيبة، والخطر جسيم، والعذاب مخيف وبيل، وعمر الإنسان قصير، والصوارف والمغريات كثيرة، والمخاوف والمثبطات متعددة وفيرة. فاعملوا الخير واحذروا من المحرمات.. ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا لذكر الله؟ ألم يأن لنا أن نراجع مواقفنا ونحاسب أنفسنا؟ ألم يأن لنا أن نقوّم أعمالنا وأن نتساءل: هل تفضي بنا هذه الأعمال إلى النجاة وهل تنقذنا من عذاب أليم؟

اللهم عفوك وغفرانك وتوفيقك إنك سميع الدعاء.



الدنيا مزرعة الآخرة

أيها المؤمنون!

احرصوا على الخير ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، واحذروا أن يصرفكم عن ذلك شَيْءٌ، فما أكثر الصوارف عن الخير والبر والتقوى، وما أوفر دواعي الإثم والبغي والطغيان.

كونوا ـ يا أيها الإخوة في الله ـ دائماً على ذكر واعٍ لحقيقة الحياة الدنيا، واقدروها قدرها.

إنها مزرعة الآخرة... إنها ممرّ لذاك المستقر... إنها فرصة متاحة.. إنها دار عمل وامتحان..

فاحذروا الحذر كله أن يشغلكم شَيْءٌ عن العمل للآخرة، والإعداد للنجاة يوم الدين.. إياكم أن تلهيكم أموالكم أو أولادكم عن ذكر هذه الحقيقة.

فما المال إلا عرض حائل، وظل زائل، وأمر تافه أمام الحقائق الكبرى الخالدة. إن المال لا يغني صاحبه شيئاً يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

إن أموال الدنيا كلها لو كانت لإنسان ظالم لجاد بها يفتدي نفسه يوم القيامة لأن الحقائق تكشف في ذاك اليوم ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم





مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

إن الأموال والأولاد فتنة فاحذروا يا أيها الأبرار أن تلهيكم عن ذكر الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].



الدنيا متاع الغرور

أيها المؤمنون!

لا تغرنّكم الدنيا الغرَّارة، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

إن الدنيا دارٌ لا يسلم منها إلاَّ من هيأ وسائل النجاة وهو فيها، إذ لا يمكن التدارك بعد الموت، ولا ينفع حينئذٍ الندم.

الدنيا دار التكاليف فمن رزق فيها عملاً صالحاً، وتوبة نصوحاً فقد فاز وكان من الناجين.

والدنيا في حقيقتها تافهة لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فاحذروا يا أيها الأبرار أن تضحوا من أجلها بشيء.

إنها إلى فناء، وانقطاع، وزوال، وانتقال، لذتها موقوتة، وزينتها عما قليل ممقوتة. إن سرّت فلطالما قد أحزنت، وإن أحسنت فلطالما قد أساءت.

اتقوها يا أيها الأحبة واعلموا أنها ما حلت قلب عبد إلاَّ صرفته عن خالقها، ولا كثر اشتغال الناس بها إلا كانت سبباً في فرقتهم.

والإسلام ـ أيها الأحبة ـ لم يحارب الدنيا، ولكنه حارب الاقتصار عليها، ولم يمنع أتباعه من الانتفاع بها والاستمتاع بملذاتها الحلال، ولكنه منع أن تكون عندهم هي الغاية القصوى، والمثل الأعلى.





ودعا إلى موقف سواء، فيه الحكمة والمصلحة، يعبر عنه قوله عزّ من قائل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

حذار من أن تغركم بمفاتنها وحلاوتها عن الدار الآخرة، أو أن تصرفكم عن دين الله واذكروا دائماً قيمتها كما جلتها الآية الكريمة: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].



حب الدينا رأس الخطايا والضعف

أيها المؤمنون!

اتقوا الدنيا فإنَّها حلوةٌ خَضِرَةٌ، واحذروا مفاتنها ومغرياتها فما استخلفكم فيها ربُّكم إلّا ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً...

واعلموا أنه ـ تبارك وتعالى ـ سميع بصير محيط بما تعملون، ناظر كيف تصنعون؟

واعرفوا قيمة الدنيا وقدرها، وثقوا بأن ما عند الله خير وأبقى.

أيها الأبرار!

إياكم وإياها، فإنها غرَّارة خدَّاعة، أهلكت من كان قبلكم، وصرفتهم عن الصراط السويِّ، وقذفت بهم بعيداً عن الخير والهدى.

وإنَّ حبَّ الدنيا رأسُ الخطايا والشرور، وطريق الكفر والفجور، وسبب الضعف والهوان، وأصل كل انحراف وعصيان.

وأنَّ ما يحل بالمسلمين اليوم من الكيد والبلاء إنما كان بسبب حب الدنيا، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حيث قال:

«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا.. إنكم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهة الموت»[1].

(١) رواه أبو داود عن ثوبان بإسناد صحيح ٤/ ١٥٨ برقم ٤٢٩٧

أيهـا الإخوة في الله!

إن المؤمن الذي يعرف ما أعده الله لعباده المتقين من النعيم المقيم ممّا لم تسمع به أذن ولم يخطر ببال بشر لا يفتن بهـذه الدنيا، لمعرفتـه بتفاهتها وأنها لا تساوي جناح بعوضة ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

لتكن الدنيا في أيديكم لا في قلوبكم في ظل من هذا التوجيه الخالد السامي: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].



اغتنام الحياة الدنيا للعمل الصالح

٤/٩/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

اتقوا الله سبحانه في نفوسكم وانصحوها، واغتنموا فُرَصَ الحياة واربحوها، ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦].

وتنادي أخرى: ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤٤].

وتستغيث أخرى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وتقول أخرى: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

فرحم الله من نظر لنفسه، قبل غروب شمسه، وقدّم لغده من أمسه، وعلم أنّ الحياة تجرُّ إلى الموت، والغفلة تقود إلى الفوت، والصحة مركب الألم، والشبيبة سفينة تقطع إلى ساحل الهرم[1].

أيها الأبرار!

رُوي عن رسولكم ﷺ الحريص عليكم، الرؤوف الرحيم الحديث

---

(١) انظر نفح الطيب ٢١/٩.





الآتي[1]: «الكيّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

فعلى أي شيء بعد هذا تقوّلون؟

اعملوا لما بعد الموت، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، واحذروا أن يفتنكم الشيطان أو الهوى عما أنتم عليه من الحق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

---

(١) وهو حديث جميل ولكنه ضعيف ولذلك صدرته بـ رُوي التي يستعملها العلماء للدلالة على ضعف في الحديث. وانظر الحديث في «سنن الترمذي» ٢/٢٠٥ و«المستدرك» للحاكم ١/٥٧ و«سنن ابن ماجه» ٢/برقم ٤٢٦٠ و«مسند أحمد» ٤/١٢٤ وضعفه وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف



أعمالنا محصاة علينا

١٣/٩/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

إننا مسؤولون عن كل عمل مهما كان شأنه، كبر أو صغر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وأعمالنا وأقوالنا محصاة علينا في كتاب لا يترك شيئاً منها وسنجدها يوم الحساب حاضرة: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠].

اذكروا ذلك جيداً يا أيها المؤمنون، واذكروا إحاطة علم الله تعالى بما يكون منكم من قول وعمل وخاطرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].



واقرؤوا بتدبير هذه الآيات الكريمة التي كان يتلوها رسول الله ﷺ على المنبر:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ٢٢].

افعلوا الخير لعلكم تفلحون

أيها المـؤمنـون!

افعلوا الخير لعلكم تفلحون.

افعلوا الخير لأنفسكم لتسعدوا في الدنيا، ولتفوزوا يوم القيامة.

افعلوا الخير لأهليكم وأولادكم وجيرانكم لتستقيم لكم حياة فاضلة.

افعلوا الخير لإخوانكم المسلمين ليقوم المجتمع الإسلامي الأمثل.

افعلوا الخير للناس أجمعين لينشر الإسلام ظلاله على الدنيا ولتقوم دولة الله في الأرض.

ففعل الخير المبني على الإيمان سبب من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة.

ياأيها الإخوة المؤمنون!

افعلوا الخير لوجه الله.. ولا تنتظروا المكافأة إلا من الله.. لا تنتظروها ممّن أسديتم إليها الخير تستريحوا وتطمئن نفوسكم.

افعلوا الخير ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، واعتدُّوا ذلك غنيمة تحرصون عليها حرصكم على ما ينفعكم، ولا ترجوا النفع من أحد يَعْلُ شأنكم عندالله وعند الناس.

أيها المـؤمنـون!

لا تستعجلوا الثواب على فعل الخير فإنّ مثقال ذرة واحدة من العمل





الصالح لا يضيع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾. [لقمان: ١٦].

افعلوا الخير واحرصوا عليه في زمان عَمَّتْ فيه الأثرة، وسيطرت على الناس المنفعة الذاتية، وتحكمت في النفوس الأنانية، ولم يَعُدْ هناك محرك للناس في أعمالهم سوى المصلحة الشخصية.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].



الله أكبر

أيها المؤمنون!

(الله أكبر) شعار دين الحق والعدالة: الإسلام.

يرفعه المسلمون شعاراً لهم في الحياة تعلنه مآذنهم على رؤوس الأشهاد، فيشق أجواء الفضاء في جنح الليل، وفي رابعة النهار.

ويلهجون به فرحين في أعيادهم، ويصدعون به في وجه العدوّ في ساحات القتال، ويذكرونه في الاستحسان والتعجب.. وفي الصلاة والدعاء.. وفي الصبر على مصاعب الحياة. (الله أكبر) نشيد العزة والإباء والتحرر.

يبث العزة والإباء في المؤمنين الذين أراد الله لهم العزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ويحررهم من كل ألوان العبودية، فلا شيء في هذه الدنيا مهما كبر إلا والله أكبر منه.. والله مع الذين آمنوا.. فلم لا يكونوا سادة أباةً أحراراً؟ يكونون

(الله أكبر) الكلمة الخالدة على وجه الدهر..

الكلمة التي هي بلسم لجراحات المنكوبين الذين يجدون فيها العزاء كله.

الكلمة التي يدخل بها المؤمنون صلاتهم ويرددونها على رأس كل عمل في الصلاة.

الكلمة التي تعرض أكبر قضية في الوجود، وتبعث في المسلم الروح التي يحرص الإسلام على توفرها فيه.





فعليكم يا أيها المؤمنون أن تستحضروا معنى هذه الكلمة العظيمة كلما أنطقتم بها.

● فالفضاء الواسع، والكون الضخم الفسيح، والآلة الجبارة، والمخترعات العظيمة.. إنها جميعاً من خلق الله وصنعه.. والله أكبر.

● والطغاة والظلمة والجبابرة.. كلهم عبيد من عبيد الله.. والله أكبر.

● فالله أكبر من كل ما يخيف الناس العاديين فإياكم أن تضعفوا أمام الكوارث والمخاوف.

● والله أكبر من كل قوة.. ومادة.. وهوى.. فإياكم أن تخشوا غير الله أو تنصاعوا لسواه.

وحذار أيها المؤمنون أن تكذب قلوبكم ألسنتكم، فلا ينبغي أن يكون في قلوبكم شيء أكبر من الله.

وحذار أيها المؤمنون أن تكذب أفعالكم أقوالكم، فلا يجوز أن يكون منكم تصرف يدل على أن شيئاً مهما عظم أكبر عندكم من الله.



اللسان

أيها المؤمنون!

صونوا ألسنتكم عن الخوض فيما لا يعود عليكم بالخير في دينكم ودنياكم، واعلموا أن خطر اللسان عظيم، وأن المرء قد يتكلم بالكلمة يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً.[١]

ومن هنا كان ـ يا أيها الإخوة ـ هذا التوجيه النبوي الكريم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت».[٢]

إن النطق نعمة من نعم الله العظيمة، التي بها نعرب عن آرائنا، وعن طريقها تستفيد الأجيال لاحقها من سابقها، وبسببها نستطيع أن نفكر، ولذا كان النطق مرتبطاً بالتفكير والعقل.. وبناءً على هذا قيل في تعريف الإنسان: إنه حيوان ناطق.

أيها المؤمنون!

إن هذه النعمة تنقلب إلى بلاء مستطير، وخطر ماحق، حينما نطلق للسان المجال ونرخي له العنان.. إنه عندئذ يسوق صاحبه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار.

أيها المؤمنون!

إنَّه لا ينجو من شرِّ اللسان إلاّ من قيَّده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله[١].

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/١٠٨ ـ ١١٠ وأدب الدنيا والدين ٢٤٩.

وما أروع الأثر الذي نقله الحسن البصري حيث قال:

ذُكـر لنا أن النبي ﷺ قـال: «رحم الله عبداً تكلم فغنم، أو سكت فسلم».

الصمت خير وقليل فاعله

أيها المؤمنون!

ليس كالسكوت شيء أبداً إذا لم يكن الكلام خيراً ومناسباً. . إنه يزيد صاحب الشخصية وزناً، ويستر عيوب صاحب العيوب.

إنه يا أيها الإخوة كسب ديني ودنيوي. قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وقال: «وهل يكب الناس في جهنم على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» وقال: «كف عليك هذا» وقال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم أبعد ما بين الشرق والمغرب» متفق عليه، فرحم الله من قال خيراً فغنم أو سكت فسلم(1).

وقال بعض الحكماء: الزم الصمت تعدَّ حكيماً جاهلاً كنت أو عالماً.

وقال بعض الحكماء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار.

وإن الصمت في محله عادة يجب أن نعود أنفسنا وأولادنا عليها.

أقلَّ الكلام ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإن الصمت يجعل سامعك ينظر إليك بما يسمع عنك، لا بما يسمع منك، وإذا تكلمت عند الحاجة أصغى إليك بشغف وعدَّ كلامك شيئاً ثميناً.

---

(١) أدب الدنيا والدين ٢٤٩ وإحياء علوم الدين ٣/١٠٨ ـ ١١٠.





تخفف يا أخي من أوزار الكلام المسيء، فقد قال عمر بن عبدالعزيز: «من لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت خطاياه».

واعلم أن أكثر ما يقوم في دنيا الناس من عداوات وخلافات وخصومات إنما هو بسبب الكلام فاتق الله وصن لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة والسب والشتم تفز برضوان الله.

* * *

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» رواه البخاري. (ج ١١/ ٢٠٨)



إلى أخلاقنا الأصيلة

أيها المؤمنون!

رجوعاً إلى الله.. ليكون كل واحد فيكم الرجل المسلم..

واعتصاماً بدينه.. ليكون منكم المجتمع المثالي الأفضل..

رجوعاً إلى الله.. ليكون التراحم شعاركم، والتعاون شأنكم، والتآخي دثاركم.

... إنَّ أخلاقتنا وعاداتنا ـ يا أيها الأحبة ـ أضحت بعيدة عمّا أراده منّا الإسلام.. وإن نظرة بعضنا لبعض تخلفت تخلفاً كبيراً عما كانت عليه هذه النظرة في الماضي... وإن صيغة مجتمعنا آخذة بالانحراف شيئاً فشيئاً عن المستوى الرفيع الذي أحلّنا فيه الإسلام..

لقد شبه الرسول العظيم ﷺ المجتمع الإسلامي بالبنيان المرصوص فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1] وشبهه أيضاً بالجسم الواحد فقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[2].

أيها المؤمنون!

ألا فلينظر كل واحد منكم إلى المسلمين كافة على أنهم إخوانه، وليشاركهم أفراحهم وأحزانهم وليهتمَّ بأمرهم.

وتعاونوا على البر والتقوى، وليعطف غنيكم على فقيركم، وليساعد قويكم ضعيفكم، وليحسن كباركم إلى صغاركم.





واعفوا عن المسيء، وكافئوا المحسن، وانزعوا الحقد والحسد والبغضاء من قلوبكم، وإياكم واحتقار المسلمين وإيذاءهم فإنه بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

وتراحموا ينزل الله بركاته عليكم، ويرفع غضبه ومقته عنكم، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.



كل شيء هالك إلا وجهه

أيها المؤمنون!

شعار الحياة الدائم: الحركة.. والزوال.

لا شيء يبقى.. ولا حال يدوم. نعم لا يبقى مخلوق ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ولا يدوم فقر ولا غنى، ولا صحة ولا مرض.. كل ذلك وغيره إلى زوال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

إذا أدركتم هذا تمام الإدراك يا أيها الإخوة، ووعيتم واقعكم الذي أنتم فيه كامل الوعي، عرفتم أن الحياة الدنيا ليست كل شيء.. وأنها لا تستحق منكم أن تعيشوا لها وتموتوا من أجلها.

إنها - يا أيها الأحبة - قنطرة تمرون عليها للاختبار، وأنتم بعد ذلك صائرون إلى دار فيها الخلود الأبدي.

.. إن ما يجمعه أحدنا من مال، وما يخلفه من أثاث ومتاع وعقار، وما يتركه من مؤلفات وآثار، ليس له منه إلّا القليل.

تذكروا دائماً يا أيها الأخوة في الله أنكم عما قليل راحلون.. تاركون ذلك، مسؤولون عنه.. فتطلعوا إلى رضوان الله، واسعدوا بطاعة الله، واحرصوا على أن تكون دنياكم مزرعة خصبة إلى الآخرة، واحذروا أن تكون الدنيا أكبر همكم، أو مبلغ علمكم..



احذروا أن تغركم هذه الدنيا الغرّارة، فكل ما فيها قبض الريح، ولله در القائل:

لكـل شيء إذا مـا تمَّ نقصـانُ فـلا يُغَرَّ بـطيب العيش إنسـان
هي الأمـور كمـا شـاهدتهـا دولٌ مـن سـرّه زمن سـاءتـه أزمـانُ
وهـذه الـدار لا تبقي على أحـد ولا يـدوم على حـال لهـا شـانُ

الجهاد ذروة سنام الإسلام

أيها المؤمنون!

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام. وقد ندب كتاب الله المسلمين إليه، والمجاهدون في سبيل الله هم النخبة المختارة، والطليعة المقدامة، التي ارتضت أن تكون فداءً لأمتها، ورضيت أن تكون دماؤها الطاهرة سقاية لعزة دينها وكرامة أهلها، ولذا فقد أجزل الله ثواب المجاهدين والشهداء، وكانت لهم أبداً إحدى الحسنيين إما النصر والعزة، وإما الشرف والشهادة.

أيها المؤمنون!

إن الأمة التي تأبى الهوان، وتؤثر أن تموت ميتة شريفة، يهب الله لها الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الذلُّ الذي خيَّم في ربوعنا، وعلا جباه جيلنا، إلا نتيجة لبعدنا عن ديننا، الذي جعل الجهاد فريضة من فرائضه، ولتمسكنا بالدنيا، ولكراهيتنا للموت.

فأعدوا أنفسكم للجهاد، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة، وإن الخطوة الأولى في هذا الإعداد هي مجاهدة الأهواء والشهوات، والمخاوف والمغريات.

واعلموا ـ يا أيها الإخوة ـ أنَّ الموت لا بُدَّ منه، وأنه لا يكون إلّا مرة واحدة، ولن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، واعملوا على رياضة نفوسكم وأبدانكم، لأنّ النصر على الشهوات والأهواء، مقدمة النصر على





الأعداء.. لتجعلوا كلمة الله هي العليا: ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤].



أسباب النصر

أيها المؤمنون!

إن المعركة قائمة بين الحق والباطل منذ أن برأ الله الوجود.. وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وعندما يتميز الفريقان، ويأخذ المؤمنون بأسباب النصر يرتفع لواء الحق، وتعلو كلمة الله.

ولننظر في هذه الآيات المعجزة من سورة الأنفال التي حددت أسباب النصر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٥ - ٤٧].

● فأول أسباب نصرة الله لعباده أن يكون القتال لإعلاء كلمة الله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

● ومن أسباب النصر الثبات عند لقاء العدو، ومن هنا كان التولي يوم الزحف من أكبر الكبائر ومن السبع الموبقات ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ



أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

● ومن أسباب النصر ذكر الله كثيراً.. فاللجوء إلى الله.. والتضرع إليه.. ودعاؤه هو ما كان يفعله رسول الله ﷺ في حربه. وكذلك فإن الأمل والثقة بنصر الله من أسباب النصر ويرفع الروح المعنوية ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

● ومن أسباب النصر طاعة الله ورسوله والبعد عن الفرقة والتنازع والحرص على وحدة الصف، فإن التنازع يضعف قوة المسلمين ويمكن أعداءهم منهم.

● ومن أسباب النصر الصبر والتواضع لله والبعد عن الاستعلاء والبطر والرياء والبغي والصد عن سبيل الله.

● ومن أسباب النصر الإخلاص، فإن الإخلاص أساس قبول الأعمال. ويمنح صاحبه قوة لا تقاوم.

● ومن أسباب النصر الاعتقاد بأن الآجال مقدرة، والشهادة في سبيل الله إحدى الحسنيين.

وبعد فإذا نظرنا إلى واقع المسلمين المؤلم لم نستغرب مصيرهم لفقدان كثير من أسباب النصر، وصدق الله العظيم ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧].



وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ

أيها المؤمنون!

المستقبل الزاهر السعيد هو للإنسان الذي يحكم صلته بالله تعالى ويوثّقها، والسعادة والأمن والسيادة تكون للمجتمع الذي يقوم على الإسلام حقاً.

هذه حقيقة لا شك فيها، وحوادث الأيام القريبة والبعيدة الفردية والجماعية تؤكدها وتقررها. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

إن الذلة على الذين يحادون الله ورسوله والسيادة والغلبة لله ورسله وأتباعهم.

وإنّ الله قضى وقضاؤه أن الإنسان يرى سعيه، وأن ما عمله يلقاه، فلا يضيع مثقال ذرة على عامل ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ وقوّته سبحانه هي القوة الغالبة، ومشيئته لا رادَّ لها وقد تكفَّل جل وعز بنصرة من ينصره فقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحج: ٤٠]. وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وتاريخنا المجيد، وأيامه الغر أدلة ناطقة على ذلك.. إننا عندما كنا





مع الله ومع شرعه نحكمه وننزل على حكمه أحرزنا الانتصارات الباهرة، فأكثر المعارك الحاسمة التي خضناها كان عددنا أقل من عدد الأعداء.

إننا عندما نرجع إلى الله وننصره في حياتنا وسياستنا وحكمنا ونظمنا نملك شيئاً لا يملكه أعـداؤنا. نملك عقيـدة توفـر لنا السعـادة ونملك نصر الله.

إننا بالله ننتصر والعاقبة للمتقين.



الجهاد تجارة رابحة

أيها المؤمنون!

رَغَّبَ الإسلام أتباعه بالجهاد في سبيل الله، ودعاهم إليه، وذكر أنه تجارة رابحة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

ولكن هذا الثواب الجزيل مربوط بإخلاص النية وابتغاء ما عند الله.

وبيَّن الشرع أن عمر الإنسان محدود، وأجله مقرر، فلا الجهاد يدني الأجل، ولا الجبن والقعود عن القتال يطيل الأجل ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] والإنسان ميت على كل حال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فمهما طالت الحياة فلا بد من الموت:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

فإذا أكرم الله عبده المسلم بالشهادة كان من السعداء.. فليهنأ بتلك





الميتة التي يعقبها تقلبٌ في أعطاف النعيم المقيم في ربوع الجنة.

إن طعم الموت واحد سواء كان على فراش المرض، أو تحت عجلات السيارة، أو في ميدان الشرف والكرامة، فإذا كان ذلك كذلك وأتيح للمؤمن سبيل الجهاد فلا يقنع إلا بدحر أعداء الله لإعلاء كلمته ولتأييد شريعته:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

والجهاد أمنية غالية من أسمى أماني المسلم، وهو ماض إلى يوم القيامة.. وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون فرض عين، وأمتنا المجيدة هي أمة الجهاد.. كانت به تظفر بالنصر المؤزر، وتصون كرامتها وتنشر دينها في أرجاء المعمورة. والمسلم لا يقيم على الخسف أبداً، ولا يرضى بالذل والهوان مهما كانت الظروف، والنصر بيد الله يؤتيه أولياءه الذين ينصرونه ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

اذكروا المحتاجين

أيها المؤمنون!

اذكروا إخوانكم المحتاجين من الفقراء والمساكين.

اذكروا أيها الأبرار أولئك الذين يعضهم الجوع عندما تأكلون طيب الطعام.

اذكروا أولئك الذين يفترشون الأرض عندما تتقلبون في الفراش الوثير.

اذكروا أولئك الذين يلسعهم البرد عندما تلبسون الفاخر من الثياب.

اذكروا أولئك المقعدين الذين لا يستطيعون الكسب ويلجمهم تعففهم عن مسألة الناس.

أيها المؤمنون!

إنّ الأيام دول، وحال الزمان في تغير، ولا يدري أحدٌ من الناس ماذا سيكون في غد؟ والخلق - يا أيها الأحبة - عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، ولا تضيع عند الله مثقال ذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٧ - ٨].

احذروا - أيها الأحبة في الله - الشح، فإنه أهلك من كان قبلكم.. هوالذي يدمر مقومات الخير في أمتكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].





أيها الأبرار!

المال عارية موقوته لا تبقى، وهو مشغلة لصاحبه في الدنيا، وعبء عليه يوم القيامة، وإنفاقه على المستحقين وبذله للبائسين هو الذي يبقي الثواب الجزيل لصاحبه، ويبث في المجتمع روح الود والمحبة والتعاون، وبذلك يندفع البلاء وتستقيم الحياة ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١].



اذكروا البائسين

أيـها المـؤمنـون!

اذكروا إخوانكم البائسين يذكركم ربكم، اذكروهم وواسوهم يجزل الله ثوابكم،ويغفر لكم ذُنُوبكم.

أيها المُدَّثِّرُون بالسابغ من الأغطية!

أيها المرتدون للمدفىء من ثياب الصوف!

أيها المتحلقون حول مواقد النيران!

اذكـروا في الأيام القـاسية أولئـك الذين يَعَضُّهُم البـردُ القارسُ في العَراء، لا يجدون المأوى، ولا يجدون الغطاء.

اذكروا في هذه الأيام أولئك الذين يعانون ويلات الزمهرير في الأكواخ وتحت الخيام، وليس على أجسادهم الثياب التي تقيهم وطأة البرد ولسعه.

أيها الأبرار من الموسرين! تذكروا أنَّ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وتذكروا أنَّ الراحمين يرحمهم الرحمن.. كونوا يا أيها الإخوة أعواناً للفقراء المعوزين، واحمدوا الله أن أغناكم ويسَّر لكم ما تنعمون به بحرارة الدفء والسكنى.

مُدُّوا يَدَ المساعدة لأولئك الذين تمزقهم سياط العواصف المزمجرة، وتغمـرهم زخات الثلج المتـراكمـة.. في ديـاركم القـريبـة، وفي دياركم النائية.. في بقاع باكستان.. وفي بطاح فلسطين. واسوهم واذكروا قول الرسول الأمين ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».



فقراء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

أيها المؤمنون!

اذكروا قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩ - ١٠].

وقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٩].

وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

هناك أيتام.. هناك ناس كرام اضطرتهم الحاجة والفاقة إلى السؤال.. هناك مساكين وأبناء سبيل.. هناك فقراء عاجزون لا يستطيعون ضرباً في الأرض وهم مع ذلك متعففون لا يسألون.. هؤلاء جميعاً يستحقون عطفنا ورعايتنا ومعونتنا.



إن بعض أنظمة الحكم في عـدد من بلاد المسلمين نشـرت الفقر والعوز، فتجد المـوظف الكبير الشـريف في ضيق شديـد لا يكفيه راتبـه الشهري أسبوعاً واحداً.. فتجده يحرم نفسه وأولاده حاجات وضرورات.. فلنذكر هؤلاء ولنمد لهم يد المساعدة.

إن الله سبحانه وتعالى يضاعف الحسنـة بعشر أمثـالها إلى سبعمـائة ضعف..

وقـد يصعب على كثير منهم قبـول المساعـدة، فلتقـدم إليهم هـذه المسـاعدة على أنهـا هديـة.. أو تـوضـع في البيت دون أن يعـرف من يقدمها..

لنذكرهم ولنحضّ على مساعدتهم، فالمجتمع الإسـلامي جسم واحد متعاون متكافل.. إن كثيراً من الموسرين يلقون بثياب وأحذية ونحو ذلك، لو وضعوها بين يدي قوم معوزين لوجدوا فيها حاجتهم.

مساعدة المحتاجين

أيها المؤمنون!

اذكروا في هذه الأيام التي تجتاحُ العالم أزمةُ غلاء لم يعرف الناس لها مثيلاً. . . اذكروا إخوانكم في الدين من البائسين. . اذكروا إخواناً لكم من أبناء دينكم يعانون الأمرّين من أجل الحصول على لقمة العيش، وأجرة المسكن، وثمن الدواء، وقيمة الكساء.

اذكروا هؤلاء الذين يُقِضُّ مضجع الواحد منهم التفكير بالمال الذي يغطي هذه الحاجات، ويؤمن هذه الضرورات.

اذكروا إخوانكم هؤلاء وأنتم تتقلبون في مهاد النعمة، وتحيون في بحبوحة العيش الرغيد.

امسح يا أخي المسلم بيد السخاء آلامهم، وساعدهم بشيء مما أنعم الله به عليك لتأمين حاجاتهم، وواس بفضل مالك ضعف حالهم. . إن قليلاً لا تحتاج إليه ولا يؤثر عليك بذله قد ينقذ مريضاً من الموت، أو بيتاً من الخراب، أو أسرة من الضياع، أو فتية وفتيات من السقوط في مهاوي الرذيلة.

اذكر يا أخي قول رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم:

«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».



قيام الليل

أيها المؤمنون!

قوموا بين يدي ربكم في جنح الليل الهادئ، حيث تتوارى المشاغل، وتنأى المشكلات ويخلو كل حبيب إلى حبيبه.

اسعدوا ـ أيها الأحبة ـ بصلاة التهجد التي فيها غذاء الروح، وطمأنينة القلب، وسعادة الدنيا والآخرة.

هلّا تطلعت أرواحكم إلى سمو المناجاة.. عندما تنام المخلوقات، ويخلد الناس إلى الراحة والملذات.. عندما يقوم الأبرار في هذه اللحظات، ويتوجهون إلى خالق الأرض والسموات، ويصلون بضع ركعات.

إن قيام الليل زادٌ وعلاج.

أنه زادٌ يتزود به المرء المسلم في هذه الحياة التي طغت عليها عواصف الجاهلية. فيعصمه من الزلل، ويمسكه أن ينهار في طوفان الهوى، ويمهد له سبل الصلاح والاستقامة، والخشية والتقوى.

.. إنه الزاد الذي يبقى حيث يعز الزاد.. إنه الزاد الميسور لكل مسلم في كل حين.

.. إنه الصلة الوثيقة التي تربط قلوب المؤمنين بخالقهم، فتمدُّهُم بطاقات من الجهاد والصبر لا توصف ولا تحدّ.. إنه الصلة بالله العظيم في وقت الصفاء..



.. إنه العزاء لنفوسهم عما تلاقيه في دار الفناء.. وإنه ليبعث في نفس المؤمن الغريب في مجتمعه أنساً كبيراً، وتصميماً على متابعة المضيّ على طريق الحق والخير والرشاد.. طريق الإسلام.

وإن قيام الليل وقاية للمسلمين المنغمسين في حياة الناس الملوثة من الانحراف، وعلاجٌ لأرواح السالكين، به تشرق وتسعد، وبسببه تسمو وتُصْقَل، وبه تتهذب طباعهم وتحلو، ويرهف إحساسهم ويعلو.

ألا فاحرصوا على أن تكونوا من الذين لا يضيعون قيام الليل، ومن الذين يستغفرون ربهم ويتضرعون إليه عسى أن يكونوا من أهل الجنة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. [الذاريات: ١٥ - ١٨].

وصلاة الليل تقوي على تحقيق كثير مما يتطلع إليه المربون والمرشدون، لأن الليل وقت يخشع فيه القلب، وتهدأ فيه الأعصاب، ويكون مجالا للتأمل والتفكر في نواميس الكون.

والأزمة التي نعاني من وطأتها ويئنُّ اليوم منها العالم بأسره هي أزمة في الروح، وإن أي علاج لانحراف أو وضع شاذ لا يمكن أن يكون علاجاً ناجحاً ومفيداً ما لم يعتن بالروح.

أيها المؤمنون!

احرصوا على أن تأخذوا أنفسكم بالعزم على قيام الليل، تأنسون بربكم في جوف الليل، إن الذين يتولون القيادة والتوجيه بحاجة إلى أن يكونوا من هذا الفريق.



الإيمان هو النعمة الكبرى

أيها المؤمنون!

إنَّ الإيمان هو النعمة الكبرى التي تفوق النعم الأخرى كلها.. أنَّه هو الذي يحقق لكم سعادة الدنيا، والفوز والنجاة يوم القيامة.. أنه ـ في هذه الآونة ـ المطلب الذي يتطلع إليه العالم الذي فقد راحته وطمأنينته يوم أن فقد الإيمان فضلَّ الضلال البعيد.

أيها الأبرار!

السعادة الحقيقية في أيديكم، لأنَّها كامنة في الإيمان الذي يعمر صدوركم، فاشكروا الله على جزيل فضله، ونَمُّوا هذا الإيمان بالتفكر في خلق الله، وبالأعمال الصالحة والطاعات المطلوبة، واستكثروا لذلك من ذكر الموت، وقراءة القرآن، ومصاحبة الصالحين، وامضوا في دعوة الناس إلى الإيمان... إلى الخير والحق والرجولة والنجاة.

واذكروا دائماً أنَّ الإيمان هو الذي يضفي على الحياة الطمأنينة، وحلة السعادة، وهو الذي يعطيها القيمة السامية التي لا يمكن أن تبلغها بسواه، وهو الذي يبث فيها الروح الخيرة، والشعور الطيب النديّ، وهو الذي يجعل أصحابه ينظرون إلى الوجود بعين مشرقة متفائلة، ويهبُهم عزيمة خارقة يقوون بها على تخطي المصاعب واجتياز الأزمات، ويحلون بها المشاكل ويتجاوزون العقبات، ويصمدون أمام نوائب الأيام وأعاصير الزمان، والإيمان هو الذي يخفّف من قسوة الحياة على البائسين، وهو الذي يكفكف من مرارة المصائب على المحزونين، وهو الذي يمنح الرجال





العاديين قوة الأشداء من الأبطال، وهو الذي يطارد فلول القلق ويستأصله من المجتمع.

أيها المؤمنون!

أقيموا دعائم مجتمعكم على الإيمان، تتحقق لكم ولأمتكم الحياة الكريمة الزاخرة بالعزة والهناء، والمتصفة بالطمأنينة والصفاء والمتسمة بالعزة والعلاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾. [النساء: ١٣٦].



معرفة الله فرض على كل مسلم

أيها المؤمنون!

إن معرفة الله أمر يتصل بالعقيدة، وهي فرض عين على كل مسلم.. إنَّ علينا أن نعرف الله وأن نوحده، وأن نعبده وأن نتوكل عليه. ويُعيننا على ذلك العلم المعتمد على الوحي:

إنَّ التأمّل في آيات القرآن وتدبرها، والنظر في أحاديث النبي ﷺ يقود المرء إلى معرفةٍ بالله واسعة، وكذلك فإن التأمل والنظر في هذه الشريعة العظيمة. التي حلت للإنسان مشكلاته وأقامت نظاماً حكيماً لم تعرف البشرية نظاماً أحكم منه ليقود إلى معرفة الله وإدراك حكمته ورأفته بعباده، هذه الشريعة التي بلّغنا إياها رسول كريم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم تكن له صلة بأية ثقافة كانت في ذلك العصر.

وكذلك التأمل في هذا الكون الواسع وملكوت الله العظيم والنظر في الفضاء الهائل والكواكب والنجوم والبحار والجبال، والنبات وفي أنواع المخلوقات البرية والبحرية والطيور والحشرات وفي خلق الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] إن ذلك كله يدل على قدرة هذا الخالق وإحسانه وإحكام صنعه.

وإن المعرفة التامة بالله سبحانه تورث القلب حلاوة الإيمان التي يجدها المؤمن كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه





وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

وتتجلى آثار هذه المعرفة في الثبات عند المحن، والصبر على الأذى، وملازمة الحق ولو كان مع الباطل المغريات، أو كان معه العقوبة الرادعة والإيذاء الشديد.

ومن هنا وجدنا عدداً من الأبطال في تاريخ التديّن والصدق يثبتون على الحق، ولا يبالون بما وراءه وإن كان السجن والتعذيب والموت. وقد حدثنا القرآن عن نماذج من هؤلاء الأبطال، فمنهم سحرة فرعون الذين تبيّن لهم الحق، فعرفوا الله حق المعرفة، فلم يبالوا بما يهددهم به فرعون وقالوا بعزة وثبات: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣].

ومنهم أصحاب الأخدود الذين أُلقوا في النار ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

الإيمان ومنزلته

٢٢/١١/١٣٩٠هـ

أيها المؤمنون!

هنيئاً لكم هذا الإيمان الذي به تسعدون في حياتكم، والذي به ستفوزون في آخرتكم.

الإيمان ـ يا أيها الأبرار! ـ هو النعمة التي تتقلبون اليوم في ظلالها كراماً سعداء، وتكونون به غداً يوم القيامة من الأخيار المقربين.

الإيمان ـ يا أيها الأحبة! ـ هو الذي افتقدته حضارة الغرب، فمزق شبابها القلق، وقاد مجتمعاتها إلى مهاوي التحلل والفساد، حتى أوشكت حضارتها أن تشرف على الانهيار والدمار.

الإيمان ـ يا أيها الصالحون! ـ هو الضياء الساطع الذي سارت على سناه قوافل الأبطال من أجدادكم يحررون الدنيا، وينصفون المظلومين، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينشرون العدالة، ويُشيعون مبادىء الحق والخير والقوة والجمال، ويرفعون راية التوحيد.

الإيمان هو السلاح الذي إن تحليتم به تفوقتم على غيركم، وملكتم ما لا تقوى أمة أخرى أن تفاخركم بأحسن منه، وإنه ليقودكم إلى القوة بكل معانيها، والعلم، والتقدم، والسعادة والرشاد.

الإيمان هو السياجُ الذي يحميكم من سيطرة الأعداء، وقلق السفهاء الأشقياء، وهو الذي يجعلكم في بلادكم سادة، ولجحافل الأحرار في الدنيا قادة.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الطلاق: ١١].

الإيمان وآثاره

أيها المؤمنون!

الإيمان أعظم منة أكرمنا الله بها: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] وما أحسن كلمة الرافعي رحمه الله الذي قال:

[الإيمان هو ذلك المعنى الذي يلقي على روحك السكينة، لأنها متصلة بالله، ويلقي في ضميرك المحبة، لأنه متصل بالناس، وهو ذلك المعنى الذي يعلمك ما أنت ممن حولك، وما حياتُكَ وما وراءها.

وهو ذلك الاعتقاد الكبير الذي تصغر عنده الحياة بما فيها من الخير والشر، وتهون بما فيها من النفع والضرّ.

فلا يضعف أبداً ما دام في الكون قوة، ولا يفتقر أبداً ما دامت الطبيعة غنية بجمالها، ولا يسقط أبداً ما دامت السماء قائمة، ولا يموت أبداً ما دامت الحياة باقية.

ومتى خضعت له استحال عليك أن تذلَّ لصغائر الحياة؛ لأنهُ هو لا يذل.

ومن مظاهره تلك العظمة التي تكون:

في الأبطال فيستهينون بالحياة، إذ هم أهل الموت.





وفي العظماء فيتنزهون عن الدنايا، إذ هم أهل الأخلاق.

وفي الحكماء فيزهدون في حُطام الدنيا، إذ هم أهل النفوس.

ومن ثمَّ كان الإيمان الصحيح حرية صحيحة، لأنه يعصم من ضروب الذلّ كلها. وكان منفعة خالصة، لأنه الحدُّ القائم بين النفس وشهواتها.

وكان عزاءً نافعاً، لأنه العقل السماوي الذي يلهم الإنسان حكمة كلِّ مصيبة، أو يلهمه الثقة بالحكمة التي يجهلها].

أحيانا الله مؤمنين وأماتنا مسلمين واستعملنا فيما يرضيه والحمد لله رب العالمين.

* * *



العقيدة وواجب المسلم الواعي في نشرها

أيها المؤمنون!

إن أعظم منة منَّ الله بها عليكم هي نعمة العقيدة الصحيحة: عقيدة التوحيد، وقد حدث أنَّ ناساً آمنوا بهذه العقيدة، واستظلوا بنعيمها المؤنس الكريم، وظنوا أنَّ لهم بذلك منة على الرسول ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وإن شكر هذه النعمة إنما يكون بالعمل بمقتضاها، والحرص على تبليغها للناس، إنك - يا أخي المسلم - تحمل البلسم الشافي لأمراض الإنسانية المعذبة، وليس غيرك يا أخي يملك ذلك.

إن في هذه العقيدة السمحة التي تؤمن بها مبتغى الملايين الحائرة الضائعة، التي يمزقها القلق والانحدار.

إن فيها مطلب الجماهير المعذبة المظلومة، التي أضناها السير والسرى بحثاً وراء الخلاص.

فاعرف قدرك، وتبيّن مهمتك، وكن في مستوى المسؤولية العظمى التي وضعك الله فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].



وجاءت أحداث الزمان ووقائع التاريخ فقررت ذلك، وأصبحتَ الملجأ الوحيد حتى لمن لا يرى رأيك.

واعلم أن تقاعسك وتخليك عن واجبك يجعل الشقاء متفاقماً على الناس جميعاً، ويزيد في نشر ظله المقيت على البؤساء خاصة.

احرص يا أخي على غرس هذه العقيدة في نفوس أبنائك، وكل مَنْ تلقى من الناس تسعد أنت وتُسعد الآخرين.

العقيدة هي الآصرة

٢/١١/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

جاء الإسلام فوجد الناس يتجمعون على آصرة النسب، أو يتجمعون على آصرة الجنس، أو يتجمعون على آصرة الأرض، أو يتجمعون على آصرة المصالح والمنافع القريبة.

وكلها عصبيات لا علاقة لها بجوهر الإنسان، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الإنسان الكريم.

وقال الإسلام كلمته الحاسمة في هذا الأمر الخطير، الذي يحدد علاقات الناس بعضهم ببعض تحديداً أخيراً.

قال: إنه لا لونَ، ولا جنسَ، ولا نسبَ، ولا أرضَ، ولا مصالحَ، ولا منافعَ، هي التي تجمع بين الناس أو تفرق.. إنما هي العقيدة.. هي علاقتهم بربهم التي تحدد علاقتهم بعضهم ببعض. فعلاقتهم بالله هي التي منحتهم إنسانيتهم، ومن ثم فهي التي تُقَرِّرُ مصائرهم في الدنيا والآخرة سواء.

فعلى أساس هذه الحقيقة يتجمع الناس أو يفترقون إذن. لا على أساس أي عرض آخر طارئ على حقيقة الإنسان. إن آصرة التجمع هي العقيدة، لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الإنساني، فأما إذا انبتت هذه الوشيجة فلا آصرة ولا تجمع ولا كيان.



إن الإنسانية يجب أن تتجمع على أكرم خصائصها، لا على مثل ما تتجمع عليه البهائم من الكلأ والمرعى، أو من الحد والسياج، فمزيداً من الارتباط بعقيدة الحق، وانطلاقاً منها في كل جانب من جوانب حياتكم، لترتفعوا بأنفسكم وأمتكم إلى المستوى الكريم ـ

ـ من كتاب هذا الدين ـ بتصرف ص ٨٣

الإيمان . . والحياة

أيها المؤمنون!

إن الإيمان هو الذي يمنح الحياة قيمتها. . إنها متاع الغرور. . لذائذها موقوتة، وهمومها كثيرة، وآلامها ومصائبها لا تنتهي. . لا تتوافر للمرء فيها الأسباب التي يتصورها جالبة لللسعادة حتى تتنكر له الدنيا وتمضي عنه سريعاً.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

هكذا تمضي بسرعة اختلط بالماء نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح. .

أما المؤمن فيتخذ الدنيا دار عمل، يزرع فيها الأعمال الصالحة، ويعي حقيقة أن هذه الحياة ابتلاء واختبار، إنه يقرأ قول الله تبارك وتعالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ١ - ٢].

الدنيا لعبٌ يتلهى بها اللاعبون، ومُتَعٌ يتسابق إليها المتمتعون، ولذات وشهوات. . وزينة وتفاخر وتكاثر. . ولكنها جميعاً سريعةُ الزوال،



﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

إن الإيمان هو الذي يرتفع بالمؤمن في الحياة إلى مستوى كريم رفيع، مستوى الإنسان الذي كرَّمه الله، وسما به عن مستوى الحيوان الذي لا همَّ له إلا أن يأكل ويتمتع، والعاقبة له يوم القيامة.. إنَّ ارتفاع الإنسان بالإيمان يدخله الجنة، ويجعله في النعيم المقيم، أما الذي رضي لنفسه أن يكون في درجة الحيوان فالنار مأواه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

الإيمان الراسخ طريق الخلاص

أيها المؤمنون!

إن الوضع السامي الرفيع الذي أراده الله لنا بالإيمان وضعٌ يسمو بالفرد منا إلى طمأنينة في نفسه، ورضىً في أعماق قلبه، وسعادة وهناءة في الدنيا، وجنة عدن في الآخرة.. وضعٌ يحقق لنا حياة ممتعة يعيش المسلم فيها آمناً هادىء الأعصاب، لا يروعه خوف، ولا يعكر صفاءه حزن. وهو بعد ذلك كله قويٌّ، لا تلينُ قناته لقوة ولا يذل لجبّار، لأن الله مولاه، ومن كان الله مولاه هانت أمامه قوى الأقوياء جميعاً ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد: ١١].

ولئن عضه الدهر حيناً فحلت به مصيبة أو اعتراه فقر، إنَّه موعود بالجنة التي له فيها ما تشتهي نفسه وكل ما يتمناه... وإنه لعزاء دونه كل عزاء.

أيها المؤمنون!

إن السبب في ارتكاس أحوالنا، وتأخر أمورنا، إنما يعود إلى ضعف الإيمان، وعدم الاستقامة على ما نعتقد أنه الحق، ومن هنا كنت ترى القلق يسيطر على كثير من الناس، والاضطراب في نواحي حياتهم يسود مجتمعاتهم.. إنك لترى عدواناً وظلماً وانتهاكاً وامتهاناً، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.





فإلى الإيمان الراسخ - يا أيها الأبرار - وإلى الاستقامة على هديه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].



الإيمان طريق السعادة

أيها المؤمنون!

الإيمان جنَّةٌ وارفة الظلال، نديَّة الأفياء، خيرها عميم، ونفعها عظيم، إنها واحة غنَّاء في صحراء هذه الحياة الملتهبة يأوي إليها المؤمنون فيجدون فيها النعيم المقيم، وينجون من لفحات السموم التي تنطلق في دنيا الناس، ويحظون فيها بالسعادة التي طال بحث الناس عنها فأعياهم أمرها.

الإيمان يجعل الإنسان ينظر إلى الوجود بعين باسمة، ونفس مطمئنة، وقناعة تامة.

والإيمان هو الذي يُوفِّر لنا المواطن الصالح السليم من العقد، والمعافى من الانحراف، والإيجابي البنَّاء، المرح المتفائل، فلتحرص يا أخي على تنمية شجرة الإيمان في صدرك بالقربات والأعمال الصالحات.

ولتحرص يا أخي على تنشئة أهلك وأولادك في ظلال الإيمان، واعمل على أن ينمو في نفوسهم بكل ما تستطيع من وسيلة.. إنه استنقاذ للكرامة الإنسانية من كل ضعة، لأنه يحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله ويستنقذ عقله من رجس الشرك والخرافة فـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾. [الأعراف: ٤٣].



العبودية لله تحرر الإنسان من كل قيد

أيها المؤمنون!

إن دعوة الإسلام هي الدعوة الوحيدة التي تحرر الإنسان من قيود الهوى، وأغلال الشهوة، وأصفاد اللذة التي يرسف بها الآخرون.. إنها دعوة تحرره من كل أنواع العبودية لما سوى الله.. فما أكثر ألوان العبودية التي يرزح تحت وطأتها عديد من بني البشر.

أيها الأبرار!

هنيئاً لكم هذه الدعوة التي هي أكرم منة تفضل الله بها عليكم.. لأن المؤمن الحق يعيش في ظلال الإسلام في أمنٍ يخالط حشاشة قلبه، ويسعده السعادة التي ليس لها حدّ.

والعجيب أنّ هذا التحرير الكامل للإنسان إنما يتحقق من مبدأ العبودية لله سبحانه.

من كان عبداً لله لا يخضع لأحد سواه.

ولماذا يخضع؟ أمن أجل الرزق؟ والله هو الرزاق ذو القوة المتين، والله يقول: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

أمن أجل الحياة؟ وللمرء عُمُرٌ قدّره الله، لا بُدّ أن يستوفيه صاحبه والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].



أيها الأحبة في الله!

اسعدوا في عبوديتكم لله التي تجعلكم سادة أحراراً.

واعملوا لتحرروا إخوانكم في الإنسانية وذلك بالعودة إلى الله.

الإيمان يقي أصحابه من طغيان المادية

أيها المؤمنون!

إنكم في أمنٍ ونعيم، وسعادة وهناءة.. تعيشون في جنة الإيمان، تنعمون بدفء الراحة وحلاوة اليقين، وتتفيئون ظلال الصحة والسلامة والاستقرار.

بينما يعاني غيركم ممّن يعيش عصره بعيداً عن هداية الله يعاني ويلات القلق يتجرع غصصه الأليمة. فالقلق البغيض هو السمة التي تميز عصرنا هذا، الذي تجهمت حضارته المنحرفة للدين، وجرّدته من كل وسائله الخيرة.. تلك الوسائل التي كانت تعطي الحياة قيمتها الحقيقية وتضفي عليها لوناً محبباً يجعلها متعة حلوة، لها هدف سام يشعر كل واحد بلذة في السعي نحوه دونها لذائذ الحياة ومتعها.

أيها الصالحون!

حافظوا على هذا النعيم المقيم، وعلى تلك السعادة الكاملة.. واحذروا أن يفتنكم الشيطانُ عدوُّكم الألدُّ عما أنتم عليه، ويزين لكم واقع هؤلاء الذين يئنون من القلق في هذه الأيام. وإياكم والانخداع ببهرج المدنية الزائف.

احمدوا الله ـ يا أيها الأبرار! ـ على أن هداكم للإيمان فأمنتم وسعدتم لتجدوا مزيداً من هذه النعم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].





أيهـا المـؤمنـون!

امضوا في طريقكم طريق الخير، واعملوا على تنمية إيمانكم بأداء الواجبات، والإكثار من النوافـل، والالتجاء إلى الله في كـل حين، والبعد عن المحرمات.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].



إنَّما المؤمنونَ إخوةٌ

أيها المؤمنون!

كانت الأخوة الدينية بين المسلمين هي أصدق تعبير عن الوحدة المشتركة: قرّرها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقررها رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم».

وربطت هذه الأخوة بين قلوب المسلمين حتى أصبحوا أسرة واحدة كبرى، يفرحُ المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويمدُّ يد المعونة إليه عند الحاجة، ويرشده إذا غوى، ويهديه إذا ضلَّ، ويرحمه إذا ضعف، ويعامله بما يحب أن يُعامَلَ به، ويمحضه النصحَ إذا استنصحه، أو رأى عليه ما ينكره الشرع والدين، ويحفظه في ماله وعرضه غائباً وحاضراً ويسعى في إصلاح ذات البين، ورفع ما يقع من الخلاف حتى أضحى المسلمون إخوة متصافين رحماء بينهم، شعارهم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً» «لا يؤمن أحدُكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ودعاؤهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

... هذه هي الأخوة الدينية التي اعتبرها الإسلام بين المسلمين أساساً من أسس دولتهم وجماعتهم، وقد امتنّ الله على نبيه وعلى المؤمنين، فذكرهم بنعمة التآلف بعد التقاطع:



﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣].

بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان

أيها المؤمنون!

إنكم على أهدى سبيل؛ لأنه سبيل الله.

وإنكم تسلكون أقوم منهاج؛ لأنه منهاج الخير والحق والعدالة: منهاج الإسلام، فاستمسكوا بالحقّ الذي منَّ الله عليكم بمعرفته، واعملوا به وادعوا له تكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة.

أيها الأبرار!

احمدوا الله الذي هداكم لهذا، وما كنتم لتهتدوا لولا أن هداكم الله، وإن من مستلزمات الحمد أن تعملوا على تطبيق ما في هذا الدين من الخير، وأن تحرصوا على التزام أوامره، واجتناب نواهيه في أنفسكم وأسركم ومعاملاتكم مع الآخرين وفي شؤونكم العامة.

أيها المؤمنون!

إنكم إن فعلتم ذلك زاد ارتباطكم بدينكم، وتوثقت صلتكم بربكم وأنقذتم أنفسكم ومجتمعكم من المشكلات والأزمات التي يعانيها كل من تنكب طريق الإسلام وتولى غير سبيل المؤمنين.

واحذروا - يا أيها الأخوة في الله - أن يفتنكم الشيطان ويزين لكم أن تطيعوه فيما تحقرون من أعمالكم.. فإنّ المخالفة تقود إلى المخالفة والإصرار على المعاصي يقود إلى النار.

واذكروا قوله ﷺ: «أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم».



اقدروا دينكم حق قدره

أيها المؤمنون!

لقد أنعم الله عليكم بالنعمة العظمى التي لا تعد لها نعمة، وهي هذا الدين العظيم الذي أنزله الله، وشرَّفكم به، وأكرمكم بحمله.

إنكم يا أيها الإخوة تحملون الترياق الذي لا علاج سواه لأمراض الإنسانية.. وتملكون الضياء الذي يبدد الظلمات التي تسود عالم اليوم... غير أنَّ ضمور معرفتنا للإسلام، وتخطيط عدونا لمناهج التعليم ووسائل الإعلام، جَعَلَ نفراً كبيراً منا يجهل قيمة هذه الرسالة الكبرى التي منَّ الله علينا أن هدانا إليها.

إنَّ هذا الإسلام العظيم دين عبادة ودولة، فيه الحياة الروحية والوجدانية، وفيه التنظيم الاقتصادي والسياسي.. دينٌ فيه العقيدة الصحيحة، والتشريع الكامل، والعدالة الاجتماعية المطلقة، والخلق القويم، والدعوة إلى العلم النافع بكل جوانبه، وإلى استكمال القوة بكل أنواعها. القوة التي تكون لإعلاء كلمة الله ولخدمة الحق والخلق.. وفيه التحديد الدقيق لعلاقاتنا مع خالقنا، ومع أنفسنا، ومع أقاربنا، ومع أبناء ديننا، ومع غيرهم.

إنه دين شامل كامل ينتظم شؤون الدنيا والآخرة، ولا يدع جزئية من جزئيات الحياة والسلوك والوجدان إلا ويُحكم ربطها بغيرها.. يعالج ذلك بمثالية لا تنأى عن الواقع، وبسموٍّ لا يصادم الفطرة.. وإذا تأمل الإنسان آيات الكتاب الكريم، وأحاديث الرسول العظيم وفهم العلماء في كتب





الفقه وجد مصداق ذلك.. ولقد فهم السلف الصالح حقيقة هذا الدين، وأقاموا حياتهم على مبادئه وجرى على سننهم كل الأبرار على مر العصور، وسجلت ذلك آثارُهم الباقية التي نقف عليها في كتب التاريخ.

وليس ذلك عجباً، إذ أنّ منزل هذا الدين هو الله رب العالمين.

أيها المؤمنون!

عليكم أن تقدروا هذا الإسلام حقَّ قدره، وأن تعتزوا به، وأن تتيقنوا أنكم به في غنى عن أنظمة الدنيا كلها.

وثقوا أن المستقبل للإسلام. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].



الإيمان يقمع النفس عن الوقوع في المعصية

أيها المؤمنون!

إنّ الذي يستشعر عظمة الله وقدرته واطلاعه عليه وعلمه بأحواله الخفية والظاهرة، ويتدبر قوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

إن الذي يستشعر صفات الله عز وجل ويستحضرها في قلبه ويؤمن بها إيماناً كاملاً لا يمكن أن يقع في المعصية. كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، ذلك لأن المؤمن يعلم انتقام الله وقدرته ومعرفته وإحاطته بالخلائق.. فيقمع هذا الإيمانُ النفسَ عن الوقوع في الذنب.

وقد جلّى هذا المعنى بعض العلماء فقال:

الإيمانُ في قمع النفوس يكونُ حسبَ قوته:

- فتارةً يردّها عند الهمّ.
- وتارةً يردّها عند العزم.
- وتارةً يردّها عن بعض الفعل.
- فإذا غلبت الغفلة، ووقع الذنب، فتر الطبع فنهض الإيمان للعمل، فينقص بالندم أضعاف ما التذ. وهناك حديث جميل أخرجه أحمد في المسند، وأبو داود في سننه، ويتضمن صورة معبرة، وهو قوله ﷺ:



«الإيمان قيد الفتك» فالإيمان قيد يمنع صاحبه من الفتك. وكلمـة الفتك عامة تشمل أموراً عدة.

فتعهدوا إيمانكم بالنموِّ، وإنه ليزيد بالطاعة، والعلم وتدبر كتاب الله، وتأمل الكون الذي خلقه الله.

الإيمان طريق النصر

أيها المـؤمنـون!

ظروف أمتنا اليومَ قاسيةٌ؛ فنحن من أمة مضطهدة مكلومة، تتطلع إلى النصر، وتترقب الفرج، وترنو إلى الخلاص، ولكننا أخطأنا الطريق... ولا تزيدنا الأزمات المتوالية ـ واأسفاه ـ إلّا ضياعاً وحيرة.

نتساءل في لهفة: من يدافع عنا؟ ومن يأخذ بناصرنا في هذه الأيام العصيبة؟

إننا نُقَاتَلُ من اليهود.. إننا ظلمنا ولم نجد النصير.. إننا أخرجنا من ديارنا وأموالنا.. إننا ننتظر النصر.. ولكن أين الطريق؟

الطريق يا أيها الأبرار بينة معالمه، واضحة حدوده، إنه في هذه الآيات: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨]. إن دفاع الله عنا أمنية غالية كبيرة، والطريق إليها الإيمان بالله، فهل لنا أن نبدأ الطريق من أوله وأن نتحلى بالإيمان؟

الإيمان الذي به انتصر أسلافنا وعزوا وسادوا.

وهل لنا أن ننبذ الخيانة والكفر لأنّ الله لا يحب كل خوّان كفور؟

أيها المـؤمنـون!

إن نصر الله لنا يتوقف على نصرتنا لدينه، وتحلينا بآدابه وأحكامه من



إقامة للصلاة، وإيتاء للزكاة، وأمرٍ بالمعروف، ونهي عن المنكر، واقرؤوا قوله سبحانه بعد الآية السابقة:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾. [الحج: ٣٩ - ٤١].

المؤمن أوّاب

أيها المؤمنون!

إنّ المؤمن أوّاب إلى الله.. إذا زلت قدمه في ذنب فسرعان ما يذكر الله فيستغفر لذنبه.

إن المعصية عنده زلة وليست منهجاً في الحياة. وهذا هو الفرق بينه وبين الفاسق والكافر.

إن المؤمن لا يُصرُّ على اقتراف الذنوب... وإنما هو إنسان فيه شهوة وإرادة، فقد يقوى دافع الهوى، وتتوقد نيران الشهوة، وتضعف إرادته فينحدر إلى المخالفة.. ولكنه تواب.. يتوبَ إلى رشده، ويرجع إلى ربه، ويلتجىء إليه مقبلاً عليه، فيغسل الله حوبته، ويقبل توبته.



وللمؤمن من إيمانه ما يبغّض إليه الإثم، فلا تراه أبداً عازماً على الوقوع فيه.. ولكنه معرّض إلى الخطأ والسقوط.. وله من إيمانه ما يجعله عازماً على ألا يعود إلى مقارفة الذنب مرة أخرى.. لأنّ ندمه على تلك الزلة يعينه على المباعدة منها. وهذه يا أخي شروط التوبة:

إقلاع عن الذنب، وندم على فعله، وعزم على ألا يعود إليه، والله تبارك وتعالى يفرح بتوبة عبده، وهو يحب التوابين، وإن من نعم الله على المسلمين أن التوبة تجب ما قبلها وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

اجعلوا همكم رضا ربكم

أيها المؤمنون!

إذا أصبح العبدُ وأمسى[1]، وليس همُّه إلا الله، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته.

وإن أصبح وأمسى، والدنيا هَمُّهُ، حَمَّلَهُ اللّهُ هُمومَها وغُمومَها، وأنكادَها، ووَكَلَهُ إلى نفسه، فَشَغَلَ قَلْبَهُ عَنْ محبتِهِ بمحبةِ الخلقِ، ولسانَه عن ذكرِهِ بذكرهم، وجوارحَه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فَهُوَ يَكْدَحُ كَدْحَ الوحشِ في خدمةِ غَيْرِهِ، كالكير ينفخ ويعصر أضلاعه في نفع غيره.

فكلُّ مَنْ أعرض عن عبوديةِ الله وطاعتِهِ ومحبتِهِ، ابتُلِيَ بعبودية المخلوق، ومحبته، وخدمته. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾. [الزخرف: ٣٦].

فاجعلوا - يا أيها المؤمنون - همَّكم رضا ربكم، وفرّغوا قلوبكم لمحبته، واشغلوا ألسنتكم بذكره، لتسودوا في الدنيا، ولتسعدوا يوم يقوم الناس لرب العالمين.

---

(١) من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ص ٨٣.



مدارس النصارى . . . وأبناء المسلمين

أيها المؤمنون!

إن هذه المدارس أسلحة قتالة، توجه إلى صدور أبنائنا وبناتنا، تغتال في أمتنا.. تشكك في دينها.. وتزلزل قيمها.. وتجور على لغتها.. وتفسد خلقها.

إن هذه المدارس أسلحة قتالة، توجه إلى صدور أبنائنا وبناتنا، تغتال زهرات فوّاحة من أولادنا، وتقتل طاقات هائلة من فلذات أكبادنا.. كان يمكن أن تكون تلك الزهرات والطاقات في خدمة أمة الإسلام لو أنها نشئت في بيئة إسلامية، ولكان يمكن أن تقدم لهذه الأمة الخير العظيم.

وقد نبّه لخطر هذه المدارس الشيخ محمد عبده[1] رحمه الله، وكل الدعاة الواعين المصلحين.

لقيت رجلاً ـ كنت أحسبه واعياً ـ فذكر لي أنه سجل ابنته في مدرسة الراهبات فأنكرت عليه ذلك، وقلت له: كيف تلقى ربك وأنت تقدم فلذة كبدك لأعدائك يربونها على عقيدتهم وأخلاقهم؟ فقال: إن هذه المدارس تعلم الخلق وتقوي اللغة الأجنبية. فقلت له: أي خلق يعلمون؟ وما لنا وللغة الأجنبية في السن المبكرة.. إن دراسة لغة أجنبية أمر يمكن أن يستدركه الحريص عليه، وليس هذا عذراً لتضع بنتك في مدارس الكفار. فقال: إن هذه المدارس هي المدارس الوحيدة التي لا اختلاط فيها.. ثم

---

(١) انظر كلامه في كتابنا «أقوال مأثورة» ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣. ـــ ٥٤٢ ر ٥٤٥ - ٥٤٦



تابع كلامه قائلاً: أرأيت يا سيدي كيف أن المسلمين الذين يريدون المحافظة على أولادهم بنين وبنات يضطرون إلى وضع أبنائهم في مدارس النصارى؟

قال ذلك يريد أن يجد المسوغ الإسلامي لفعلته المنكرة، فقلت له: إن الذي يريد أن يحافظ على أولاده لا يمكن أن يضع واحداً أو واحدة من أولاده في مدارس أعدائه وإن أدى ذلك إلى أن يبقى الولد أمياً. ما فائدة العلم إذا خسر دينه؟ قال: ولكن الجهل قتل، وأنا لا أرضى بقتلها. قلت له: ولكن قتلها أن تجعلها في أيدي أعدائك.

بَصَّرَنا الله طريق الرشاد، وردنا إلى دينه رداً جميلاً.



منعطفات مهلكة . . ودعاة سوء

١١/١/١٣٩٠ هـ

أيهـا المـؤمنـون!

في حياتنا مزالق كثيرة، ومنحدرات عديدة خطيـرة، إنها منعـطفات يقف عليها دعاة الشيطان والهوى، يزينون السيء المنكـر، ويحملون من المغريات ما تضعف أمامه نفوس كثير من الناس، ويملكـون من وسائـل التأثير الحديثة ما يفوق التصور.

احذروا هذه المنعطفات يا أيها الإخوة. . فإنها تقودكم إلى الهلاك.

واحذروا أولئك الدعاة: دعاة السوء. . فإنهم يدعون إلى النار، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه.

إن عاقبة الاستجـابة لهم وخيمـة. . إنها النـارُ الملتهبةُ الحُـطَمةُ. . نـار الله الموقـدة التي تضطلع على الأفئـدة. . إنهـا نـار وقـودهـا النـاس والحجارة. . إنها النار المحاطة بملائكة غلاظ شداد أقوياء، لا يلتفتون إلى استغاثة المجرمين.

تذكروا ـ يا أيها الأبرار! ـ أن عذاب النار عذاب أبدي لا نهايـة له ولا حـدّ، اذكروا ذلك وقوا أنفسكم وأهليكم حرّهـا وشرّهـا، فكل راع مسؤول عن رعيته. وتسلحوا لذلك بمزيد من النظر في كتاب الله لتعـرفوا مـا أعدّ الله للغـاوين، واستعينوا لبلوغ تلك الغـاية، بـإرهـاف إحسـاس المخافـة منه سبحانه ومراقبة دواعي النفس الأمارة بالسوء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ





وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].



القلب

١٣٨٩/٢/١٦ هـ

أيها المؤمنون!

اعتنوا بقلوبكم وتعهدوها، فإنَّها إن صلحت صلح الجسد كله، وإنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فاحرصوا على أن تكون مبرَّأة من سوء المقصد وعلى أن تكون معلَّقة بالله، وعندئذ ستنجو أعمالكم من الرياء والنفاق.

والإسلام يولي القلب أهميَّة كبرى حتَّى إنَّه جعل الأعمال محكومة بالنيَّات، ومن هنا كان الحديث «إنما الأعمال بالنيات» من الأحاديث التي تدور عليها أحكام الإسلام.

والقلب يتأثر بالطاعة والمعصية، إذ يُغلفه الإصرار على المعصية بالران، ويشرق بالحسنات ويزداد صفاء.

ويكفي القلب شرفاً أنَّه مستقرُّ الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[الحجرات: ١٤].

وفيه يكون الحب لله والبغض لله، وفيه الفقه ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفيه العقل ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] وفيه التدبر﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].



والقلوب تقسو وتلين وتتذكر كما جاء في القرآن: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٧٤] ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وللقلب حالات: فهو يغفل ويستيقظ، ويمرض ويموت، ويغلظ ويرق، وينيب ويطمئن، ويقسو ويلين، فاحرصوا- يا عباد الله - على أن تقوه من الغفلة والمرض والموت والغلاظة والقسوة. وقد وصف القلب في كتاب الله بأوصاف عدة، بعضها ممدوح وبعضها مذموم. فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[الشعراء:٨٩] ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣] ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. ومن ذلك قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[البقرة: ١٠]. ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

إنَّ ما يصيب المسلمين من تخلُّف في المكانة، وتقهقر في ميادين الحياة، وضعف ماديٍّ ومعنويٍّ، وانتكاس في الخلق يعود إلى أنهم أهملوا قلوبهم حتَّى غدت أقسى من الحجارة.

أيها المؤمنون!

لتلمس موعظة الله قلوبكم، ولتعملوا على إيقاظها وتذكيرها بالله وأيامه.

اعمروها بالإيمان، واملؤوها بحبِّ الله، حتى لا يبقى فيها مكان لسواه.

أسكنوا هذه القلوب خشية الله ومراقبته، حتى كأنكم في حضرته ترونه، فإن لم تكونوا ترونه فإنه يراكم.



كونوا من أصحاب القلوب المرهفة، لتنفذ أشعة الهداية إلى سويدائها.
واذكروا قول الصادق المصدوق: «إنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».



العناية بالقلب

أيها المؤمنون!

أخلصوا قلوبكم لله، وعلقوا همتكم به، ووجهوا وجوهكم إليه، يَجْعَل الله ذخائره الواسعة في هذه القلوب.

إن القلب الخالص لله، العامر بحبه، قلبٌ خيّر يود الخير ويحرص عليه، ويسعى إليه.. إنه قلبٌ كبير يتسع لعباد الله أجمعين، يتحرق أبداً على أن يستجيب الناس لدعوة الخير، ولذا فإن صاحبه لا يَدَعُ وسيلة للدعوة والإرشاد إلّا ويأخذ طريقه إليها، ولا يتاح له سبيل لعون المؤمنين وتأييدهم إلا ويكون فيه من السالكين.

أيها الأبرار!

إنَّ الله ـ سبحانه ـ لا يجعل ذخائره في قلبٍ يحلُّ فيه سواه، أو تكون همته متعلقة بغيره، لأنه تبارك وتعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وهو جل وعز أغنى الشركاء عن الشرك.

إنما يودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنىً مع الله، والغنى فقراً دونه. والذلَّ عزاً مع الله والعز ذلًا دونه والعذاب نعيماً مع الله والنعيم عذاباً دونه.

وذخائر الله ـ يا أيها الأحبة! ـ قوة غلابة لا تقف أمامها شهوة، وغنى واسع ليس بعده عوز، وسمو رفيع لا تعلوه رتبة، ألا فأخلصوا قلوبكم لله،



وتحرروا من كل شيء سواه، وتعلقوا به، وتوكلوا عليه، تسعدوا في دنياكم وأخراكم، وتفوزوا برحمة الله وجناته.[1]

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

---

(١) انظر الفوائد ص ١٩٥.

حضور القلب والبعد عن الغفلة

١٢/٨/١٣٩٠ هـ

١٣/١٠/١٩٧٠ م

أيها المؤمنون!

إنَّ اليقظة وحضور القلب واتصاله بالله سبحانه من سمات المؤمنين.

فتيقظوا واملؤوا قلوبكم بذكر الله، واعمروها بما يرضيه. فلا حياة للغافلين، ولا نجاة للعابثين اللاهين.

عليكم باليقظة التي لا تدع للغفلة سبيلاً، فما أُتي المسلمون إلا عندما غلبت عليهم الغفلة، وتبلدت قلوبهم وتعلقوا بالدنيا.

أيها المؤمنون!

استحضروا عظمة الله في قلوبكم تشعروا بعزتكم، وتسعدوا في دنياكم، وتفوزوا يوم الدين. وصِلُوا قلوبكم بالله، يؤتكم قوة تتغلبون بها على كل صعوبة في الدنيا، ويُدْخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار.

استأصلوا يا أيها الأبرار كُلَّ سبب من أسباب الغفلة.. الغفلة عن واقعكم وأنفسكم وربكم، واسعدوا بالحياة الإسلامية اليقظة المتصلة بالله.. إن ذلك يفيض الرضا على قلوبكم وجوارحكم ويُحلّكم في أعلى درجات النعيم مهما تقلّبت أيام الدهر، واستحكمت أوضاع البؤس:

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ





ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[التوبة: ٨٨ - ٨٩].



عاقبة الطاعة والمعصية

أيها المؤمنون!

ليس هناك ـ يا أيها الإخوة ـ أنفعُ للعبدِ من امتثال أمر الله له وإن شقّ عليه في الابتداء، لأن عاقبته كلها خيرات ومسرات وأفراح ولذات.

فامتثلوا يا أيها الأبرار أمر ربكم، ولا تبالوا بما يمكن أن تلقوا من العناء والمتاعب، ومن الأذى والمصاعب، وثقوا أنّ الائتمار بأمر الله تبارك وتعالى خير لصاحبه في الآخرة والأولى، وأنفع له في دينه ودنياه، وإن كرهته نفسه.

واحذروا المعاصي فإنكم لا تقوون على احتمال عذاب الله، ولا شيء أضرُّ على العبد من ارتكاب ما نهى الله عنه، وإن مالت نفسه إليه وتعلقت به. واعلموا أن عاقبة المعاصي أحزانٌ وآلام، وشرورٌ وأسقام، وجحيم مقيم، وشقاء أبديٌّ سرمديٌّ. والعاقل من تحمل الألم اليسير لما يتوقعه من اللذة العظيمة والخير الكثير، والنعيم الأبديِّ السرمديّ.

ألا فلتزهدوا في اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم، والشر العريض، والعذاب الدائم. واذكروا قول رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره، وحُفَّتِ النارُ بالشهوات» وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].



الطاعة مرقاة . . والمعصية انزلاق

١٧/٣/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

عليكم بطاعة الله، فإنها خير الزاد في الطريق إلى الجنة. وإياكم والكبائر، فإن المعاصي خزي لصاحبها في الدنيا وموبقة له في الآخرة.

أيها الأبرار!

أطيعوا الله ما استطعتم، واجتنبوا الكبائر في حياتكم، تسعدوا في دنياكم، وتفوزوا يوم القيامة فوزاً عظيماً.

إنَّ طاعة الله مرقاة يرتفع بها الإنسان إلى المستوى الكريم الذي أعدّه الله لعباده الصالحين، والمرء خطاء، ولكن طريق الطاعة مفتوحٌ أمام كل حيّ، لا تسدُّه خطيئة مهما عظمت. . إنه طريق يتبدىء بالتوبة النصوح. . وينتهي بسالكه إلى الجنة.

والكبائر أغشية تغلف القلب، وتحجب عنه أنوار السمو والحق والسعادة، وهي وسيلة الشيطان إلى الإغواء، وأداة الانزلاق في سخط الله. . ولذا كان جديراً بالمؤمن الحق أن يترفع عنها. والمجتمع الذي تسوده الكبائر وتعلن فيه مجتمع كتب على نفسه الحرمان من الخير والحق والنور.

أما الصغائر فعليكم أن تجتنبوها، لأن الإصرار عليها قد يقود إلى الكبائر، وقد يدل على تهاون المرء بالدين والعياذ بالله، فإن زلت قدم الإنسان وصدرت منه بعض الصغائر فليسارع إلى الاستغفار وعمل



الصالحات، فإنَّ عفو الله يتسع للصفح والغفران، وإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

أيهـا المـؤمنـون!

سارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض، واصبروا على ما تلقون في ذلك. واحذروا ناراً تلظّى لا يصلاها إلا الأشقى، واصبروا على ما تلقون في ذلك. واعلموا - يا أيها الأحبة! - أنَّ طريق الجنةِ وعـرٌ يصعب على النفس اجتيازه، لأن صاحبه يسلكه على جسر من المكاره.

وأن طريق النار مُعَبَّد تميل إليه النفس لأن صاحبه يسلكه على جسر من الشهوات.

إن نـظر غيركم قـاصر.. ممّن لم تخـالط بشاشـة الإيمـان قلوبهم وأفئدتهم، أو ممن غلبت عليهم الغفلة، فعُميت عليهم الحقيقة. إن نظر هؤلاء قاصر لا يجاوز البدايات، ولا يستطيعُ أن ينتهي بأصحابه إلى الغايات والنهايات.. إنَّ الشهوات تلهيهم حتّى تُحِلَّهُم دار البوار.

أما المؤمنون الذاكرون الذين استجابوا لله والرسـول، وأصاخـوا إلى نداء الشرع.. فإنهم دائماً ينظرون إلى الغايات من وراء ستور البدايات.. إنهم يـرون ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة.

إنهم يرون الشهوات المحرّمة، واللذات المحظورة طعاماً لذيذاً قد خلط فيه سُمٌّ قاتل.. فكلما دعتهم لذة هذا الطعام إلى تناوله نهاهم عن ذلك ما فيه من السمّ.. وبذلك يجتنبون طريق النار.





وكذلك فإنه يرون الأوامر والتكاليف دواءً كريه المذاق، ولكنه مفضٍ إلى العافية والشفاء.. فكلما نهتهم كراهة مذاقه عن تناوله أمرهم نفعه بالتناول فإلى الجنة يا أيها الأبرار وإن كانت المكاره حولها «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

(١) انظر الفوائد ص ١٣٥.

أزمة خلقية

أيها المؤمنون!

إننا نعاني أزمة حادَّة في السلوك والأخلاق.. ولقد أُتينا يَوْمَ أُتينا من ناحية الخلق.

إنَّ علينا يا أيها الأحبة أن ننتبه من غفلتنا وأن نحاسب أنفسنا على تصرفاتها اليومية، وأن نراجع مواقفنا المختلفة في حياتنا.

● المواعيد والعقود: هل نحرص على الوفاء بها وضبطها؟ وربنا يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]. ويقول: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

● الحديث الذي نعمر به مجالسنا: هل نتحرى فيه الصدق؟ وربنا يقول: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

● وهل نتجنب الغيبة التي تصورها الآية الكريمة أكلاً للحوم الناس؟ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢].

● وعلمنا الذي نقتات منه: هل يحاول الفرد منا إتقانه وإجادته؟ ورسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»





لماذا لا نتقن أعمالنا؟ لماذا تخلينا عن هذه الخصلة الكريمة للكفار، حتى أضحت السمعة الكبيرة للبضاعة الأجنبية؟

● والنعم الكثيرة التي نتقلب في أعطافها: هل نحمد الله عليها باستعمالها فيما يرضيه؟ وهل نقنع بما آتانا الله منها فلا نحسد أحداً؟ وهل نحسُّ بحرمان كثير من إخوتنا منها؟ وهل نجود على المحتاجين بفضول هذه النعم؟

● وغير ذلك كثير.. فلنحاسب أنفسنا على ذلك كله وأمثاله.. ولنصلح أوضاعنا وأخلاقنا.. وإصلاحها سهل إن صدق العزم وقويت الإرادة.

لنرجع إلى الله.. ولنقف عند حدوده.. ولنتخلق بالأخلاق التي دعا إليها.



الأخلاق هي الكفيلة بالإصلاح

أيها المؤمنون!

في ظل شعبة الأخلاق[1] يكون الربانيون والصالحون، وفي ظلها يكون الأئمة والهداة والمرشدون، في ظلها تطهر النفس الإنسانية من الحقد والحسد والنفاق، والجبن والكذب والخيانة وما إلى ذلك من الأخلاق السيئة، التي كثيراً ما أفسدت على الناس حياتهم، وتوارت في ظلمتها القاتمة وسائل الخير والصلاح.

أيها المؤمنون!

إن إصلاح الباطن أساس لكل إصلاح ظاهري، ولا بقاء لإصلاح خارجي إلا إذا تركز وكان نتيجة وأثراً للإصلاح الباطني.

والأخلاق هي الكفيلة بالإصلاح الباطني، وهي الشجرة الطيبة التي ثبت أصلها، وبسق فرعها، وطاب ثمرها، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها[1] قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

وقال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

---

(١) انظر [الإسلام عقيدة وشريعة] بتصرف ص ٤٨٥.



طريق الخلاص

أيها المؤمنون!

طريق الخلاص هو طريق الإسلام: دين الله الخالد.

إنه وسيلة صلاحكم وصلاح الإنسانية كلها.. إنه سبيل إنقاذ الكرامة المهانة.. وإسترداد العزة السليبة.. به يحرز النصر على الأعداء.. ويدرك الفوز في الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فإلى هذا الطريق يا أيها المؤمنون.. إنَّ معالمه واضحة بينة، حددتها آيات الكتاب المبين وأحاديث النبي الأمين.

وقد حفظ الله على هذين المصدرين الكتاب والسنة صفاءهما ونقاءهما، وفاءً بعهده الذي لا يتخلف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لتبقى هاتيك المعالم واضحة لكل راغب في الهدى.

أيها المؤمنون!

إلى هذا الطريق السوي، لتحلوا مشكلاتكم وتحرزوا النصر في معارككم، وتسعدوا في دنياكم، ولتفوزوا برضوان الله والجنة، يوم يؤتى الناس كتبهم يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى





ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

إن سلوك هذا الطريق واجب لا مناص منه لمن يريد الخلاص، وإن واقع المسلمين اليوم ليفرض على الدعاة التذكير به والحض عليه والدعوة إليه.

أيها المؤمنون إلى طريق الإسلام.. إلى سبيله وشرعه فإن تستجيبوا يؤتكم أجوركم ويغفر لكم ذنوبكم ويسعدكم ويصلح بالكم﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[محمد: ٣٨].



لم تقولون ما لا تفعلون

أيها المؤمنون!

أنيبوا إلى الله، واعملوا بمقتضى شرعه.

إن واقع المسلمين في واد، ودينهم في واد.

واقعهم مخالفٌ أشد المخالفة للإسلام، وألسنتهم لا تكاد تتوقف لحظة عن الادعاء الفارغ والكلام الرنان.

إنهم يقولون ما لا يفعلون. قد يأمرون بالمعروف ولا يأتمرون، وقد ينهون عن المنكر ولا ينتهون، وقد يتظاهرون بالإسلام وهم قد هزموا الإسلام في ذواتهم وسلوكهم وحياتهم، حتى أضحوا حجاباً يغطي جمال الإسلام، ويواري عظمته ويحول بين الناس وبين الحق الذي في ثناياه.

ما أشدَّ مقت الله لهؤلاء الذين يبدون بوجهين ويقفون موقفين متعارضين متناقضين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

أولم يأتكم نبأ ذاك الرجل الذي كان يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي كيف كان مصيره في ذاك اليوم العصيب؟ يقول الصادق المصدوق:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى.. كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» رواه البخاري ومسلم.



كونوا قوامين لله

أيها المؤمنون!

كونوا قوامين لله في سلوككم.. وفي أقوالكم.. وفي عبادتكم.. وفي حبكم.. وفي كرهكم.. وفي محياكم.

قوموا لله بحياة نظيفة مستقيمة. فسبب انتكاس أحوال الإنسانية اليوم أنها تقومُ لشهواتها ومصلحتها، ولذلك فهي في شقاق مستمر لا يفتر، ومشكلات متوالية لا تنقطع، وعناء وبلاء، وهي مشرفة على الدمار والبوار.

إن الذي يقوم لله - يا أيها الأبرار - ولا يبتغي سوى مرضاته يفيض قلبه حباً لإخوانه المسلمين، ولا تحمله عداوةُ على أن يقول غير الحق مهما كانت الظروف والأحوال.

إن الذي يقوم لله إنسان عادل خيّر.. إنه إنسان لا يعرف التناقض.. إنه يرعى حقوق الآخرين كما يرعى حق نفسه.. إنه سعيد في الدنيا، فائز بالأجر العظيم يوم القيامة.

فرجوعاً إلى الله رجوعاً إلى هذا النهج العادل السامي الرفيع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٨ - ٩].



اسألوا الله

١٢/٣/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

اسألوا الله من فضله، فخزائنه ـ سبحانه ـ لا تنفد، وهو الغني الحميد.

يقول صلوات الله عليه وسلامه: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» ونزهوا أنفسكم عن الأثرة والحسد، فما منكم من أحد ينال إلا ما كتب له.

واعلموا ـ يا أيها الأحبة في الله ـ أنَّ الرزق مقسوم، وأنَّ السعي لا يغير من القدر شيئاً، فلكل نصيب ممّا جنته يداه ممّا قدّر له السميع العليم.

إنَّ الذي تعانيه الإنسانية اليوم هو تلك الأنانية المستحكمة التي سيطرت على علاقات الناس، وذاك الشح القاتل والحسد البغيض الذي يؤرث الحروب ويقيم المشكلات.

أيها الأبرار!

أنتم عباد الغني.. فله توجهوا، وإياه اسألوا.. فكلُّ عطاءٍ ـ مهما عَظُمَ ـ أمامَ عطاءِ الله هزيلٌ، ورحمته وسعت كل شيء، وكل رجاء أمامها هين يسير.

وارضوا ـ يا أيها الإخوة ـ بما قسم الله لكم تكونوا أغنى الناس، لأن الغنى غنى النفس، ومن افتقرت نفسه لم يغنه مال الدنيا كله.

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢].



نصيحة لطالب الآخرة[1]

أيها المؤمنون!

أيها المريدون طريق الآخرة والصدق!

أيُّها الطالبون أسباب العبادة والزهد!

اعلموا أنّكم خُلِقْتُم لأمرٍ عظيم، وخطر جسيم، وأنّ العلمَ لم يُرَدْ ليُعلمَ، إنما أريد ليُعْلَمَ ويُعْمَلَ به، لأنَّ الثوابَ على العمل بالعلم يقع، لا على العلم.

ألا ترون أنَّ العلم إذا لم يعمل به عاد وبالاً وحجة على صاحبه؟

وأخلصوا قلوبكم لله، واقصدوا بأعمالكم وجهه، واحذروا أن تكونوا يا معشر الأبرار ممن تركوا لذَّة الدُنْيا ونعيمها ولم يصدقوا في طلبهم الآخرة، فأصبحوا لا دنيا ولا آخرة.

واعلموا أنَّهُ مَنْ لَمْ يهن عليه الخلق لم يعظم عليه الرب، ومن لم يكن طلبه في طريق الرغبة والرهبة، والشوق والمحبة، كان متحيراً في طلبه مخلطاً في عمله، لا يجد لذة العبادة، ولا يقطع طريق الزهادة.

فاتقوا الله الذي إليه معادكم، واحذروا أن تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة وحالكم عند الله على خلاف ذلك، فإنَّ الله إنما يجزيكم على ما يعرف منكم لا على ما يعرفه الناس.

---

(١) من كلام يحيى بن معاذ رحمه الله انظر الحلية ١٠/٥٥.



طريق العزة

أيها المؤمنون!

ألا ترومون أن تغيروا ما بكم من الضيق والقلق، والفرقة والهوان والتخلف والحرمان؟

ألا تتطلعون إلى واقع أفضل، تحلّون فيه المكان الرفيع وتحوزون فيه مرتبة السيادة في بلادكم، والقيادة لركب الإنسانية التائه الحائر الضائع؟

أولا تطمعون أن تمسحوا العار، وتصعدوا سلم المجد، وتستأنفوا الطريق إلى العزة والفخار؟

إن كل مخلص في أمتكم يروم ذلك، ويتطلع إليه، ويطمع فيه، غير أنَّ الذي يعوزهم معرفة الطريق.. فإذا كان ذلك كذلك فاعلموا ـ يا أيها الأبرار ـ أن الطريق سهلٌ معبّدٌ قريبٌ مُيَسَّر.

الطريق ـ يا أيها الأحبة في الله ـ نفوسكم، أصلحوها تصلح أحوالكم.

الطريق ـ يا أيها الإخوة ـ قلوبكم، نقُّوها من الدّنس والشوائب، واملأوها بنور الحق تصلح حياتكم.

غيروا ما بأنفسكم يغير الله ما بكم.

.. المعركة داخلية أولاً.. فمن انتصر فيها على شهوته وهواه وضروراته وغرائزه، استطاع ضمان الفوز وإحراز النصر على كل عدوّ. ولله در من قال:





يا شباب الإسلام! أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم في أرضكم واعلموا وتذكروا هذه الحقيقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

الصاحب والصديق

أيها المؤمنون!

تخيروا أصدقاءكم، فإنَّ المرء على دين خليله، وإياكم وأصدقاء السوء فإنهم حبائل الشيطان ووسائل الغواية.

أيها الأبرار!

اصحبوا المؤمنين الصادقين، الذين يكونون أعواناً لكم على الخير إن أردتم سلوك سبيله، والذين يحولون بينكم وبين الباطل إن زلت بأحدكم قدم.

أصحبوا الدعاة إلى الله، الذين يريدون وجه الله ولا يتطلعون إلى دنيا زائفة ولا إلى لذة أو منفعة موقوته ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

أعرضوا - يا أيها الإخوة - عمن أعرض عن الله، وتولَّى عن ذكر الله، وصدّ عن سبيل الله.

أعرضوا عن أولئك الذين أخلدوا إلى الأرض، وارتبطوا بالدنيا فليس في نفوسهم للمثل العليا وزن ولا شأن.

إنهم يقطعون عليكم طريق الجنة، ويحرمونكم لذة مناجاة الله والاتصال به.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم ٢٩].



الصاحب والجليس

أيها المؤمنون!

لا تصاحبوا إلّا مؤمنين.. وتخيّروا مُجالسيكم من الصالحين.

● اعلموا - يا أيها الأحبة! - أنّ المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.. وأنّ الإنسان مسؤول عن علاقاته مع الآخرين.

واذكروا قصة ذاك الرجل الظالم الذي جنت عليه صداقته للأشرار الويل والبثور، في يوم البعث والنشور:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

لا تصحبوا إلّا مَنْ يُنهضكم حالُه، ويدلكم على الله مقالُه.

● واعلموا - يا أيها المؤمنون! - أنّ الجليس شريك جليسه في الإثم أو في الثواب.. فقد ورد أنّ الرحمة إذا تنزلت على مجلس الصالحين تشمل الحاضرين ولو كان فيهم من ليس منهم، لأنهم السعداء لا يشقى بهم جليس.

ومثّل رسول الله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك الذي تجد فيه ريحاً طيبة أو يبيعك أو يحذيك، وجليس السوء بنافخ الكير الذي يحرق ثيابك أو يخنقك بالريح المنتنة.





واحذروا أن تجلسوا مجلساً تنتهك فيه حرمات الله أو يستهزأ فيه بآياته.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].



(١) عن أنس قال قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه

تحابوا في الله

أيها المؤمنون!

كونوا متحابين في الله، متعاونين على الخير..

تحابّوا في الله تكونوا مؤمنين، فرسولُ الله ﷺ يقسم قائلاً: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». رواه مسلم

وتذوقوا ـ يا أيها الأبرار! ـ في حبِّ عباد الله الصالحين طعمَ الحياة الفاضلة الكريمة.

وتذوقوا في حب إخوانكم في الدين حلاوة الإيمان، فقد ذكر رسول الله ﷺ أن حب المرء إن كان خالصاً لله، سببٌ في أن يجد المسلم حلاوة الإيمان.[1]

إن واقع المسلمين اليوم ليدفعنا إلى مزيد من الشعور بضرورة التواد والتعاطف والمحبة.

أيها المؤمنون!

- تحابوا في الله تسعدوا وتسودوا.

- تحابوا في الله لتستظلوا في ظل الله يوم القيامة، إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: «أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي». رواه مسلم



- تحـابوا في الله يعمَّ الصفـاء صفوفكم، وتنعـدم المشكلات فيمـا بينكم.
- تحابوا في الله، فالمتحابون فيه لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء. رواه الترمذي
- تحابوا في الله.. فـإن ذلك الخـطوة المتقدمـة في التعاون على الخير.

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

أيها المؤمنون!

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

فتبينوا سيرته لتقتدوا به، وقفوا على شريعته لتسيروا وَفْقَ تعاليمه، وأطيعوهُ بالتزام أمره والانتهاء بنهيه، وليكن صلوات الله وسلامه عليه أحبَّ إليكم من أنفسكم وأموالكم والناس أجمعين.

أيها المؤمنون!

إن فلاحكم بالاقتداء بهدي هذا الرسول العظيم، وصلاحكم باتباع شرعه، وفوزكم بطاعة أمره ونهيه، وسعادتكم بمحبته. واعلموا أنّ إقراركم لمحمد ﷺ بالرسالة يوجب عليكم أن تجعلوه قدوتكم، ومحبتكم له تدفعكم إلى العمل بما يريد، فالحبُّ معوان على التطبيق والاقتداء.

فحذار أن تنحرف وجوهكم عنه، أو أن تنصرف قلوبكم لغيره، أو أن يكون شيءٌ أحبَّ إليكم من الله ورسوله.

اطرحوا جانباً العناوين الفارغة، والأسماء الزائفة، والزعامات المنحرفة التي تبدو في دنيا الناس اليوم، والتي يتخذها بعضهم مثلاً تتبع، وقادة تنقاد لها النفوس.

أيها الأبرار!

أحبوا نبيكم رسول الله وأطيعوه.



فمحبته واجبة على كل متبع لهديه، وكيف لا يحبه المسلم وهو ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وطاعته طاعة لله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ما عند الله خير وأبقى

أيها المؤمنون!

إنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى. وإنَّ الدنيا كلها ولذاتها لا تعدِلُ عند الله جناحَ بعوضة. وهي إلى فناء، وكل ما فيها قبض الريح ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

فلا تغرنكم هذه الحياة الدنيا، ولا تصدنكم ملذاتها عن الحق والهدى.. إنها غرارة فتاكة.

ولا يفتننكم الشيطان فيغويكم، ويصرفكم عن الصراط المستقيم، والعمر - يا أيها الأحبة! - مهما طال قصير..

فإن لم يسارع العبد إلى مرضاة الله جاءه الأجل المحتوم بين تسويف وتأجيل.. ويندم ساعة لا يفيده الندم.

أيها الأبرار!

أين الآباء والأجداد؟ وأين عباقرة اليونان والرومان؟ أين الفراعنة والأباطرة؟ أين الأكاسرة والقياصرة؟ أين الملوك والخلفاء؟ وأين الأئمة والعلماء؟ وأين المترفون والأغنياء؟

أين الأجيال الماضية أين حكامها ومحكوموها؟



إنهم الآن تراب من التراب.. لقوا ربهم، وجزاهم بما عملوا، وأثابهم على ما قدموا.

فاذكروا - يا أيها الإخوة! - ما عند الله، واعملوا لتفوزوا برضوان الله. واحذروا أن تشغلكم السفاسف عن المعالي واعلموا أن سعادة الدنيا والنجاة يوم القيامة في ابتغاء ما عند الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[فاطر: ٥].

العبادة غاية الخلق

أيها المؤمنون!

العبادةُ هي الغايةُ التي خُلقنا من أجلها ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادةُ الصادقةُ الخالصةُ محبوبةٌ وَمَرْضِيَّةٌ عندالله، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» رواه البخاري.

وبها أرسل رسله جميعاً ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وجعل ربُنا تبارك وتعالى العبادة لازمة للمكلف مطلوبة منه ما دام قادراً إلى آخر حياته.. إلى الموت وذلك في قوله: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

فإذا كان ذلك كذلك فاعلم يا أخي أن سعادتك الحقيقية في أن تقوم



بما خُلقت من أجله، وأن تكون عبادتُك خالصةً من الشركِ والرياءِ، وأن تُنشِّئ أولادك وَمَنْ أوجبَ الله عليك رعايتَه على ذلك.

* * *

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٦١].

* * *



لماذا خلقنا؟

أيها المؤمنون!

لقد كرمكم الله أحسن تكريم، وخلقكم في أحسن تقويم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤] وأعدكم لمهمة عظمى، وحملكم أمانة كبرى.. فاعرفوا قدركم ومهمتكم.

إن الإنسان إذا عرف لماذا خلق في الحياة تغيرت نظرته للحياة، وتغيرت تصرفاته تبعاً لذلك. وهو بذلك يختلف عن الحيوان الأعجم الذي لا يعرف لماذا خلق ولا من أين أتى؟ ولا إلى أين المصير؟ ولا يعيش إلا بغرائزه الغليظة الجافية وهكذا يبدو لنا جانب من معنى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾. [التين: ٤ - ٦].

إن الإنسان الذي تنكر لربه وكفر برسله يشبه ذاك الحيوان بل ينحط عنه، يأكل كما تأكل الأنعام ويمارس الغرائز كما تمارسها الدواب.

إنَّ المهمة الأولى لوجود الإنسان في هذه الحياة تتمثل في العبادة وإقامة شرع الله وإخلاص العبادة له والإسهام في بناء حياة أمته على أساس الإسلام دين الله الخالد، لتكون حياة نظيفة سامية كريمة. ويومئذ تتحقق كرامة الإنسان وعندما يقوم الإنسان بتحقيق الغاية التي خلق لها تفيض



الحياة بشراً وطمأنينة، ويعود لها معناها الجميل العميق، وتمتلىء نفوس الناس رضى وسعادة، وتشيع بينهم كل عواطف الحب والحنان.

فاعرفوا قدركم، وحققوا مهمتكم واسألوا الله الثبات وحسن الختام.

خلقتم لأمر عظيم وحملتم أمانة كبيرة

أيها المؤمنون!

إنكم خلقتم لأمر عظيم.

وحملتم أمانة كبيرة.

وكرمتم أجلَّ تكريم.

فجدير بكم - يا أيها المؤمنون - أن تقوموا بعبادته سبحانه.. فما خُلِقْتُم إلا لذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وخليق بكم أن تحملوا الأمانة الضخمة.

وأن تشكروا ذاك التكريم العظيم.

إن قدرة الله واضحة لكل ذي بصيرة، وتنطق بها جوانب هذا الكون الهائل، ومحال أن تكون هذه القدرة أوجدتكم لغير غرض، تعالى الله عز وعلا عن العبث علواً كبيراً.

والأمانة الكبيرة التي حُمِّلتموها فحملتموها أشفقت الجبال أن تحملها، والتكريم الذي منحكم الله إياه لم يمنحه أحداً من مخلوقاته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] كرمكم بالعقل، وسخر لكم ما في السموات والأرض، وسخّر لكم الأنعام والفلك، ووضع تحت أيديكم كثيراً من أسرار الكون، وجعل في خدمتكم عجائب المخترعات.. فاعملوا في حياتكم ما ترجون أن تلقوه.





واعلموا ـ يا أيها الأبرار ـ أنَّ الذي ترجعون إليه عليم خبير، يعلم خبايا النفس وخائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].



التوكل على الله

أيها المؤمنون!

توكلوا على الله وحده، فإنه سبحانه هو القوي القدير، السميع البصير، مالك الملك لا شريك له في ملكه، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

توكلوا على الله وحده، فذلك من علامات الإيمان ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

قال الإمام الرازي في تفسير سورة يوسف:

[والذي جربته من طول عمري أنَّ الإنسان كلما عوّل في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبباً للبلاء والمحنة، والشدة والرزية، وإذا عوّل على الله، ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه. فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين. فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه].

وقال أحد العلماء [وهو السبكي] في التعليق على هذا الكلام:





[قلت: وما ذكره حقٌّ، ومن حاسب نفسه وَجَدَ الأمر كذلك. وإن فرض أحدٌ عول في أمر على غير الله وحصل له فاعلم أنه لا يخلو عن أحد رجلين:

إما رجل ممكور به والعياذ بالله تعالى.

وإما رجل يطلب شراً، وهو يحسب أنه خير لنفسه، ويظهر له بعاقبة ذلك الأمر، فما أسرع انقلابه في الدنيا قبل الآخرة إلى أسوأ الأحوال. ومن شاء اعتبار ذلك فليحاسب نفسه] طبقات الشافعية ٩٢/٨.

* * *

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

انظر أخي رعاك الله إلى قوله عز من قائل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ ما أعظم هذا المؤيد والناصر، فلا تتوكل إلا على الله، إنك عندئذ منصور وانظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ وكيف تحدث عنهم كتاب الله ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

* * *



التوكل على الله واللجوء إليه

رجب ١٣٩٠ هـ

أيلول ١٩٧٠ م

أيها المؤمنون!

توكلوا على الله حقَّ التوكل يكنْ حسبكم. واستنصروه بعد أن تنصروا دينه ينصركم. والجؤوا إلى حماه بصدق وإخلاص يغثكم.

أيها الأحبة!

إذا ضاقت بأحدكم سبل الحياة، وأقفرت في وجهه مسالك الدنيا فليذكر ربَّه وقدرته ورحمته التي وسعت كل شيء، وليقل وهو يعي ما يقول: حسبي الله.

وإذا أغضب أحدكم - يا أيها الأبرار! - إنسانٌ وأساء إليه فلا يسرف في الغضب، ولا يَدْعُ عليه.. وليحاول أن يتذكر قوة الله الكبرى ونصره للمظلومين، وليقل: حسبي الله.

وإذا واجهته الأزمة واشتدت وطأتها عليه واستحكمت حلقاتها، وأيقن أنه لن يستطيع الصمود لها ولا مجاوزتها فليتصور قدرة الله العظمى، وتفريجه للكروب وليقل بكل إيمان وتصميم: حسبي الله.

وإذا تخلى عنك الصحب والخلان، وأعرض عنك الأقرباء والإخوان وتركوك وحيداً فاعلم أن لك في قربك من ربك ما يغنيك عنهم جميعاً، واجعل ديدنك: حسبي الله.





لنلتجىء إلى الله أيها الأبرار، ولنعتمد عليه وَلْيَقُلْ كلٌّ منا بقلبه وجوارحه ولسانه: حسبي الله.

إنه يومئذ يبدل بالضيق سعةً، وبالألم لذةً، وبالحزن سروراً، وبالخوف أمناً.

إنَّ من كان اعتماده على الله لا تقهره قوة، ولا تهده مصيبة وصدق الله العظيم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

شياطين الإنس والجن

٢٧/٧/١٣٩٠ هـ

٢٨/٩/١٩٧٠ م

أيها المؤمنون!

احذروا شياطين الإنس والجن، الذين يصدُّون عن سبيل الله، وتيقظوا لوسائلهم الخبيثة فلديهم من التلبيس على الناس طرائق متعددة. إنهم يلبسون لكل حالة لبوسها، ويخاطبون كل إنسان بما يستميله.

إنَّ من وسائلهم الفعالة الدنيا، والنساء.. يقول ﷺ: «إن الدنيا حلوة خفرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

ومن شياطين الإنس ناس أُوتوا ذلاقة في اللسان، ومقدرة في الكلام، يدّعون بألسنتهم دعاوى عريضة من العلم والزهد والإخلاص، وهم في حقيقة الأمر يعبدون دنياهم وأهواءهم.. وقد يخدعون من يسمعهم.. فاستعينوا بالله واسألوه يا أيها الأبرار أن ينير قلوبكم وبصائركم، حتى تميزوا الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب. واعلموا أن الدنيا وأموالها وشهواتها ظل زائل، وعرض حائل، وأمر موقوت احذروا المال الحرام.. واحذروا الخلوة بالمرأة الأجنبية.. والاختلاط المستهتر..

ومن أفظع وسائل الشياطين هذه الأفلام التلفزيونية الخسيسة التي تزين للمرء الفاحشة، وتدله على بعض طرائقها.. فلا تدخلوها بيوتكم، ولا



تمكنوا حواسكم منها، واعتصموا بالتزام الشرع، والزهد في الدنيا، والإقبال على عبادة الله، والرضى بما قسم الله لكم.. واحرصوا على مصاحبة الصالحين.. إن ذلك كله يقيكم من شر أولئك الشياطين ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

إن أزمتنا الحاضرة تحتاج إلى طليعة مؤمنة، تكشف زيف هؤلاء الدجالين من شياطين الإنس والجن، وتؤثر ما عند الله على حطام الدنيا ولذاتها وشهواتها.

فاعملوا على أن تكونوا من هذه الطائفة والحمد لله رب العالمين.



الأخوة الإسلامية

٢٠/٨/١٣٩٠ هـ

٢١/١٠/١٩٧٠ م

أيها المؤمنون!

استمسكوا بالأخوة الكريمة التي قررها الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

واحرصوا عليها وتعهدوها بالعناية والرعاية والتنمية.

نمّوها بالمحبة والتزاور والتعاون.

● فالمحبة في الله - يا أيها الأبرار! - سبيلٌ إلى النجاة يوم الفزع الأكبر، في ظل العرش الظليل يوم لا ظل إلا ظله، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من السبعة الذين يُظلّهم الله تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلين تحابا في الله. والمحبة في الله - يا أيها المؤمنون! - سبيلٌ ليحبكم الله فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ».

● وممّا يسقي دوحة الأخوة ويُقوّي جذورها التزاور في الله والمجالسة لله . . . أما سمعتم يا أيها الأحبة أنّ النبي ﷺ ذكر أن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته (طريقة) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه.





● وتعاونوا على البر والتقوى تـزد روابط الأخوة فيمـا بينكم وليكن أحدكم في حاجـة أخيه يكنِ الله في حـاجته، وابـذلوا لإخـوانكم تتحقق محبة الله لكم.

ما أحوجنا جميعاً إلى محبة الله لنجد في ظلالها النديَّة كُلَّ ما نصبو إليه من سعادة وعزة ونجاة في الدنيا والآخرة.

فتطلعوا إلى تلك الرتبة العظيمة: أن تكـونوا أحبـاء الله لتكون لكم القوة التي تبلغ بكم ذروة المجد والفخار والنجاة من النار.

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].



عباد الرحمٰن

٢٦/٨/١٣٩٠ هـ

٢٧/١٠/١٩٧٠ م

أيها المؤمنون!

هل لكم أن تتصفوا بصفات عبادالرحمٰن، لتفوزوا برضى الديَّان؟ وإنه ـ والله ـ لفوز عظيم.

صفات فيها السعادة لأصحابها في الدنيا، والنجاة لهم في الآخرى، صفات ضمتها هذه الآيات:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٠].



تواضع وترفع، وتبتل وتضرّع، وإنفاق مع اعتدال، وتوحيد مع تنزيه، وامتناع عن كبائر الإثم والفواحش، وتوبة إلى الله.

ما أحوجنا جميعاً إلى أن نتخذ من هذه الأوصاف دستوراً نلتزمه، وأسلوباً في الحياة نطبقه.. حتى نكون ممن ﴿ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥ - ٧٦].

لنعمل على تحقيق الأخوة

أيها المؤمنون!

تعارفوا وتحابُّوا في الله. واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم.

واجتهدوا أن لا يُعَكِّرَ صفوَ علاقتكم شيْءُ، وتمثلوا الآيات الكريمة دائماً والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم.

تذكروا يا أيها الأحبة قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً» وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

يا أيها الأبرار:

لا ينبغي أن تكون هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية كلاماً على ألسنة الوعاظ والخطباء والمتحدثين، وخيالاً في نفوسهم... بل إن عليكم أن تعملوا على تطبيقها في مجتمعكم، وأن تعيدوها كرة أخرى إلى الوجود، حققوا بتصرفاتكم وصف الله تبارك وتعالى للمسلمين ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].



النفس والشهوات

أيها المؤمنون!

ألد أعدائنا هي أنفسنا التي بين جوانحنا، وسلاح هذه الأنفس القتال هو الشهوات. فلا بد من أن نتهم نفوسنا.. ولا بد من أن نحرمها كثيراً مما تشتهي.

إن علينا ـ ونحن في صدد الترويض والتربية ـ أن نعود نفوسنا ترك بعض الشهوات المباحة أحياناً، حتى نملكها عندما تتطلع إلى الشهوات المحرّمة.

وإن من أحلى الكلام هذا الحديث:
«حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

وهذا الحديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

أيها المؤمنون!

الأمل أكبر من الأجل: فعن أنس رضي الله عنه قال:

خط رسول الله خطاً وقال: «هذا الإنسان»، وخط إلى جنبه خطاً وقال: «هذا أجله»، وخط آخر بعيداً عنه فقال: «هذا الأمل». فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب. رواه البخاري والنسائي.

يمرض الواحد منا فيسارع إلى الطبيب.. وإذا بدت للمرض خطورة واحتاج إلى مال لينقذ حياته هان المال في نظره، واستدان كائناً ما كان المبلغ، يفعل ذلك ليعالج جسده.






أما إذا مرضت روحه وقسا قلبه فلا يبالي.

أيهما أهم: الروح أم الجسد؟ إن الجسد لا شأن له إن هلكت الروح، بل إن النار لتحرق هذا الجسد مرات متجددة إن كانت روحه شقية هالكة.

● إننا نحتاج إلى أن نغير مفاهيمنا: ليست الحياة مادة وأكلاً وترفاً ومتعة فقط. الحياة قنطرة نعبر بها إلى الآخرة.

● إننا نحتاج إلى أن نغير ما في نفوسنا: من الطمع وحب الذات والتعالي على الآخرين ومن قصد غير الله.

● إننا نحتاج إلى أن نغير سلوكنا: فنبتعد عن المحرمات والشبهات.. وما أكثر ما نقع في المحرمات كالغيبة والكذب وإهمال الأولاد.

لنحذر أنفسنا والشهوات.



النفس أمارة بالسوء

أيها المؤمنون!

إن النفس أمارة بالسوء.. فخذوا حذركم.

وما أكثر الناس الذين تصرعهم نفوسهم وأهواؤهم، ذلك لأنهم يُتْبِعُونَ أنفُسَهُم أهواءها، فما ترى الأنفس شيئاً إلا جروا يعملون على تحقيقه.

والمخذول حقاً هو من أتبع نفسه هواها.. لأن ذلك يهلكه ويورده الموارد، وهو عاجز لأن إرادته وعقله وفكره كل ذلك قد تلاشى أمام النفس والهوى.

وإنّ الرقابة على النفس ـ يا أيها الإخوة في الله ـ أمر يجب أن يكون قائماً ونامياً عند المسلم، أوَ ما قرأتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

ونهي النفس عن هواها يحتاج إلى نباهة ويقظة ورياضة، والتنشئة على هذا النهي تشكل إقامة رقابة حذرة، وتكوين ملكة وقدرة تقي المرء من خطر النفس المدمر.

هناك غرائز ثابتة في النفس الإنسانية إن تركت وشأنها دون تهذيب وتصعيد كانت عوامل مدمرة ماحقة. كالغريزة الجنسية، وغريزة حب البقاء، وغريزة حب التملك.. وما إلى ذلك.





والإسلام العظيم لم يصادم هذه الشهوات والغرائز. ولكنه نظمها وصعدها ووظفها في خدمة الأمة والمثل والقيم.

إن الناس غافلون عن مراقبة أنفسهم فلا تغفلوا يا أيها الأحبة الأبرار، وغفلة الناس عن مراقبة النفس تعود إلى أمور كثيرة ليس المجال مجال ذكرها، فلنخالف أنفسنا الأمارة بالسوء، ولنراقبها ولنحذرها نأمن الانحراف والزيغ والهلاك.



الغفلة

١٣٩٠/١١/١٦

أيها المؤمنون!

العمر يمضي.. ونحن إلى مصيرنا الأبديّ سائرون.

وتكر السنوات.. ونحن في غفلتنا معرضون.

إن علينا ـ أيها الإخوة في الله ـ أن نطيل الفكر والنظر متأملين، لعلّنا نغيِّرُ من واقعنا بما يضمن لنا السعادة الكاملة يوم الحساب.

إنَّ انقضاء عامٍ من عمر الواحد منا إشعارٌ له بأنه قد ارتقى في سلّم الزمن يدنو من الشيخوخة، ويقترب من لقاء الله. وحفزٌ له حتى يراجع أحواله، ويعيد النظر في واقعه.

انفضوا عنكم يا أيها الأبرار غبار الغفلة.. وتنبهوا وتيقظوا، وحذار أن تصرفنا الحياة الدنيا وملذاتها وشهواتها عن إدراك حقيقتها: حقيقة أنها مزرعة للآخرة.

إن أجل الله لآتٍ، وإنَّ بَعْدَ هذه الحياةِ الدنيا حياةً أخرى، والكيّسُ من دان نَفْسَهُ وحاسبها، وعمل لما بعد الموت.

إن الصحة لا تبقى، والسلامة لا تدوم، والفراغ لا يستمر، فاغتنموا حياتكم، وقدموا لأنفسكم، وانتهزوا سلامتكم وصحتكم، قبل أن يفوتكم الأوان، ويومئذٍ لا ينفع الندم: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ





وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢١ - ٣٠].



حذار من الغفلة

أيها المؤمنون!

حذار من الغفلة عن الله، فما أشدَّ ما تفتك في أصحابها.. إنها تقودهم إلى المهالك. والغفلة عن الحق طعنة موجهة إلى أكرم ما في الإنسان من معنى؛ ذلك لأن الغافل هو ذاك الإنسان الذي رضي طائعاً أن ينزل عن رتبة الإكرام التي أحلَّه الله فيها.. إنه بذلك ينحدر عن مرتبة الإنسانية إلى أسفل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

● والغفلة ـ يا أيها المؤمنون ـ حجابٌ غليظ يضرب على فؤاد العبد، فيصرفه عن الحق، ويرمي به بعيداً في متاهات الشهوة والزيغ والإعراض ويطبع على قلبه وسمعه وبصره ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١ ـ ٣].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].



● والغفلة - يا أيها الأبرار - سبب لتعجيل العقوبة، فمصير الغافلين مصير سيء، ومأواهم النار ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [يونس: ٧].

﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

● والغفلة عن آيات الله - يا أيها الإخوة - سدٌّ يصرف صاحبه عن الهدى ورؤية الحق، ويحمل صاحبه على الانحراف في طريق الغواية ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦ - ١٤٧].

● ولذا فقد نهانا ربنا عن الغفلة، وإن كان أكثر الناس غافلين.

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

● وكم من غافل تعرّض بسبب غفلته إلى انتقام الله منه: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].



اليقظة

أيها المؤمنون!

اليقظة.. اليقظة.. والفهم.. الفهم.

وإياك والغفلة فما أهلك كثيراً من الناس إلا غفلتهم التي تعطل حواسهم، وتلبس عليهم الأمور. إن المؤمن يقظ فطن.. ليس خباً ولكن الخب لا يخدعه، ولو أنك تدبرت كتاب الله لوجدته يفتح لك مسالك الرشاد، ويبيّن لك سبل الحق وسبل الباطل، ويدعوك إلى التفكر والتدبر، والتعقل والتفهم.

إياك يا أخي أن تعمى عن آخرتك فلا تبصر إلا مصالح عاجلتك، ولا تسمع إلاّ من يحدثك عن شؤون دنياك، ولا تعقل إلاّ الأمور التي تتصل بمستقبلك المادي والمصلحيّ.

والذي لا ينتبه من غفلته إلا بالموت خاسرٌ لأنه فاتته الفرصة ورحم الله القائل:

النـاسُ في غفلةٍ والموتُ يُوقِظهم ... ومـا يفيقـون حتَّى ينفـد العُمُـرُ
يـشيّعـون أهـاليـهم بـجمعـهـمُ ... وينظرون إلى ما فيه قد قبروا
ويـرجعـون إلى أحـلام غفلتهم ... كـأنّهم ما رأوا شيئاً وما نظروا

الوعي المبصر

أيها المؤمنون!

إنَّ هذه الحقبة التي تمرُّ بها أمتنا المجيدة حقبة بالغة الأهمية، لأنها حقبة تشهد تطوراً عميقاً في حياة الناس، قل أن يحدث مثله في أحقاب التاريخ.

ولأنها حقبة تشهد تفسخ الحضارة الأوربية وإشرافها على الانهيار فالمعسكران الرأسمالي والشيوعي يعانيان من أزمات خانقة متلاحقة وقد بدا الفساد فيهما واضحاً لكل ذي عينين.

ولأنها حقبة تتزايد فيها حدّة الكيد للإسلام.. الذي سيكون البديل الحتمي عن هذه الحضارة المتداعية، فقد زادت شراسة المواجهة العنيفة التي تريد النيل من الإسلام ومحاربته.

ولأنها حقبة تتفتح فيها عوامل اليقظة والصحوة في عدد من أبناء المسلمين الذين رأوا أنّ الأنظمة الجاهلية التي عاشوا في ظلالها لم تقدم لهم إلا الشر والبؤس والشقاء.

ولحكمة أرادها الله أنه كلما زادت حدة الكيد زادت عوامل اليقظة ظهوراً، وكثرت دواعي الإقبال على تبني الإسلام نظام حياة... والمهمة الكبرى هنا هي مهمة الدعاة المؤمنين الذين يفيدون من هذا الظرف المناسب لدعوتهم ونشرها بين الناس.

إن إدراك حقيقة هذه الحقبة ليسهم في إيصال جماهيرنا إلى الوعي المبصر.





والـوعي المبصـر هذا قلعة تتحطم على أسوارها كل محاولات العدو الجادة الدائبة قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن هنا كان إلحاح هذا الدين على إعمال الفكر، وكان ثناء القرآن على الذين يوصفون بأنهم من أولي الألباب: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨].





الوعي واليقظة والتعارف والعمل

١٤٠٦/٩/١٠

أيها المؤمنون!

نحن ـ المسلمين ـ لا نشكو قلةً في المال، فالخيرات التي أودعها الله في بلادنا تفوق ما أوتيه الآخرون.

ولا تشكو نقصاً في العدد، فقد أوشكنا أن نبلغ ثلث سكان المعمورة.

ولا نشكو ضيقاً في أراضينا، ولا عزلة في مواقع بلادنا، فعالمنا الإسلامي يمتد على رقعة فسيحة، ويحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، الدنيا كلها بحاجة إليه.

ولا نشكو شُحّاً في الطاقات والمواهب، ففي رجالنا علماء في شتى مجالات الفكر والعلم، وهم وإن كانوا قلة، فإن الأمل قائم في أن يزدادوا، وأن يُنَمُّوا قدراتهم وطاقاتهم.

ولكن الشيء الذي نشكوه الكسلُ والتقاعسُ، وضعفُ اليقظة والوعي، وقلةُ التعارف.

أجل إن الذي نحتاج إليه أشد الحاجة هو:

● الوعي واليقظة: وعي واقعنا وعاصرنا وحقيقة ديننا، واليقظة لمخططات أعدائنا التي انخدع كثير من الناس ببهرجها الزائف، وشعاراتها البراقة، فتجرعوا السمَّ القاتل لكيانهم ومستقبل أجيالهم.

● والعمل بجد وإخلاص وفق أحكام ديننا.. لنحقق الإسلام واقعاً عملياً في حياتنا.





● والتعارف بين الواعين العاملين.. أن تتعارف الطاقات والمواهب والامكانات.. أن تتعارف وتتعاون على إقامة الإسلام في حياتنا ونشره والدعوة إليه.

إننا ـ يا أيها المؤمنون ـ إنّ فعلنا ذلك فزنا بالسعادة في الدنيا والنجاة يوم القيامة.



الإعراض عن ذكر الله

١٣٩٠/١٢/١ هـ

أيها المؤمنون!

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. واعلموا أنّ إعراضكم عن شرع الله سببٌ أصيل في ذهاب ريحكم، واستعلاء عدوكم، وضياع عزتكم، وتردي أحوالكم.

اعلموا ـ يا أيها الأبرار! ـ أنّ الأزمات المتلاحقة التي تحيق بنا في هذه الآونة إنما كانت بما كسبت أيدينا من الإسراف على أنفسنا، وبالإعراض عن ذكر الله وهديه.

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالمصير مفزع، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

أيها المؤمنون!

عودوا إلى الله

واستمسكوا بشرع الله تكونوا من المفلحين.



الدعوة إلى الله

٣/١٢/١٣٩٠ هـ

أيها المؤمنون!

ادعوا إلى ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فنوازع الخير أصيلة في نفوس البشر أجميعن، وبشروا بما تعلمون من مبادىء الحق وأصول الدين؛ فالاستعداد للخير متوافر وهو من مستلزمات الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها.

وما استيقظ الباطل إلاّ في غفلة من الحق وأهله.. تلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

واعلموا - يا أيها الأبرار - أن تلبيس أهل الشر من شياطين الإنس والجن، وتضليل الهوى المنحرف، وتغرير الشهوة الآثمة.. اعلموا أن ذلك كله قد يعصف بالإرادة الطيبة، ويطمس على الفطرة السليمة، ويذهب بالاستعداد الخيّر. ومن أجل ذلك كانت حاجتنا متعاظمة إلى الدعاة الصادقين.

إنَّ علينا أن نكون ذاكرين لربنا، واعين لحقائق ديننا، عارفين طبيعة عصرنا، قائمين بواجباتنا، حتى نستطيع أن نصل إلى المستوى الذي يمكننا من تأدية الأمانة.

ألا... فضاعفوا - يا أيها الإخوة في الله - من جهودكم لتبلغوا منزلة الدعاة، ووطِّنُوا أنفسكم في التضحية والصبر. وثقوا بأنَّ ما قُدِّرَ للمرءِ لا لا بُدَّ أن يستوفيه، وبأنه لا نافع ولا ضار إلا الله.





﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].



لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً . .

أيها المؤمنون!

لقد أفلست النظم البشرية، والنظريات الفكرية، والتجارب الاجتماعية، في حل معضلات الإنسان، وأخفقت في تحقيق المثل الأعلى المنشود، وإيجاد الحياة الأفضل.

ولم يبق للإنسان من أمل في غدها يحول بينها وبين السقوط سوى الإسلام. . أجل. . لقد غدا الإسلام العظيم المنقذ الوحيد للإنسانية في أزمتها المعاصرة ولكن من الذي يقدم الإسلامَ منقذاً؟.

أنت يا أخي المسلم المرشح إلى القيام بهذه المهمة، فاستشعر المسؤولية وإنها لعظيمة، وامض على بركة الله.

إنّ إحساسك بالمسؤولية ليحملك على أن تبني حياتك على أساس من الإسلام، فتتمرد على الأوضاع الجاهلية، وتستجيب لنداء الله وتترجم الإسلام بتصرفاتك واقعاً حياً يلسمه الناس الذين يتصلون بك، وإنّ شعورك بهذه المسؤولية ليحملك على الدعوة إلى الإسلام كلّما وجدت إلى ذلك سبيلاً. . في البيت. . وفي السوق. . وفي المسجد. . وفي المدرسة وفي نوادي القوم. . وعلى صفحات الجرائد. . ومن على موجات الأثير. وتذكر يا أخي قول الرسول الأعظم: «لأن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً واحداً خيرٌ لك من الدنيا وما فيها».

الرجاء

أيها المؤمنون!

املؤوا صدوركم بالرجاء، وتطلعوا دائماً إلى السماء، واستعينوا على تحقيق ما ترومون بالتخطيط والعمل والدعاء.

ليكن رجاؤكم فيما عند الله كبيراً.

وليكن أملكم في المستقبل المشرق أعظم من العقبات والمصاعب.

واحذروا ـ يا أيها الأبرار ـ أن تظنوا أنكم دون رحمة الله قادرون على النجاة، أو أنكم دون معونة الله بالغون ما تودون.

قال ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»(1).

ومعرفة الله بغية الأبرار المؤمنين، وعليها يعتمد العاملون الصادقون، وبها يغلبون وينتصرون. واعلموا ـ يا أيها الإخوة في الله ـ أنَّ رجاء ما عند الله يهب الإنسان المؤمن قوة تجعله متفوقاً على كل خصم مهما كان وضعه ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

ومهما اشتدت وطأة الخطوب، وادلهمت ظلمات المصائب، وتفاقمت

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.



أزمة الأحوال، وعصفت هوج النكبات، فإنّ أمل المسلم راسخ قوي ثابت، لا تزعزعه الحوادث، ولا تزلزله الكوارث.. إن هذا الأمل مصباح يُبَدِّدُ هاتيك الظلمات، وسكينة تملأ القلب طمأنينة ورجولة.. وما عند الله خير وأبقى.

أيها الصالحون!

ثقوا بنصر الله وتأييده، وليكن رجاؤكم دافعاً لكم للاستزادة من الخير والعمل لما يرضي الله، واعتمدوا على فضل الله وكرمه، وأخلصوا نياتكم ومقاصدكم.

أيها المذنبون!

تطلعوا إلى رحمة الله وهدايته، وأقبلوا على ربكم، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[الزمر: ٥٣]**.

المستقبل للمتقين

أيها المؤمنون!

إن العاقبة للمتقين.. إنهم ظافرون على كل حال.. حائزون إحدى الحسنيين: إما الشهادة التي تبلغهم الجنة، وإما النصر من عند الله. أما كونهم في الجنة فهذا لا يحتاج إلى دليل لكثرة الآيات والأحاديث التي تقرره ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وأما في الدنيا فإن أحداث التاريخ تؤكد هذه الحقيقة ولنذكر بعض هذه الأحداث:

نذكر يوم بدر، ويوم اليرموك، ويوم القادسية، ويوم عين جالوت، ويوم شقحب،.. وغيرها كثير.

لو تأملنا واقع المعسكرين المتقاتلين فيها، لوجدنا معسكر المسلمين فيها هو الأقلّ، ولكن قوة الله غيرت المألوف، وكان النصر للمسلمين في هذه الأيام كلها ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

إن العاقبة لمن يؤمن ويعمل الصالحات ويحكم صلته بالله تعالى،



ويصدق هذا على الأفراد والجماعات، وهذا أمر طبيعي، فالله سبحانه لا يضيع مثقال ذرة، وقوته سبحانه لا حد لها، ومشيئته لا راد لها، وقد تكفل بنصرة من ينصره ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

إننا عندما ننصر الله ونصدق معه، ونعمل الصالحات، نستحق نصر الله، وهو آتٍ لا ريب فيه،.. إننا بذلك نملك شيئاً لا يملكه أعداؤنا، نملك عقيدة تدخل الطمأنينة على قلوبنا، وتفسر لنا ظواهر الكون والحياة، وتبعد عنا العقد النفسية، والمشكلات المختلفة، وتوفر لنا عناصر السعادة كلها، وتحقق لنا النصر في الدنيا والنجاة يوم القيامة.

إننا بالله ننتصر، وبالإسلام نسود ونرتفع.. بذلك نوحد صفوفنا، ونجمع قلوبنا، فإلى الله.. لنقبل عليه.. لننصره في حياتنا وتصرفاتنا ولنحكم شرعه في دولنا وأنظمتنا لنفوز بوعد الله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].



إلى حقيقة الإسلام

أيها المؤمنون!

يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] هذا وعدٌ من الله ووعده حق، بأن يستخلف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض وبأن يمكن لهم دينهم، وبأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً.

وَعَدَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. إذن هذا الوعد بالتمكين والأمن والاستخلاف مقصور على الذين كانوا مؤمنين عاملين حقيقة.

إن النصر والتمكين يكون لمن كان على حقيقة الإسلام.. إنّ المسلمين اليوم صورة [1] الإسلام وليسوا حقيقته، والفرق كبير بين الصورة والحقيقة ولذا كان حالهم على ما نعرف.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] إن الكلام موجه للمسلمين ومع ذلك فقد اشترط الله تبارك وتعالى الإيمان لتكون لأهله العزة في الأرض والعلو في المكانة فقال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(١) انظر مقالة بين الصورة والحقيقة للأستاذ الندوي في كتابه إلى الإسلام من جديد.





وقال عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

أيها المؤمنون!

إن أكبر مهمة دينية في هذا العصر، وأعظم خدمة للأمة الإسلامية هي دعوة السواد الأعظم من المسلمين إلى الانتقال من صورة الإسلام إلى حقيقته.

وبذلك يتحول شأن هذه الأمة وشأن العالم بأسره: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].



لتشغلكم عيوبكم

أيها المؤمنون!

راقبوا ربكم، وانتبهوا لأنفسكم، واعملوا لآخرتكم؛ فعسى أن تكونوا من المفلحين.

واحذروا ـ يا أيها الأحبة في الله ـ أن يشغلكم تتبع عورات الناس وعيوبهم عن الانتباه لعيوبكم وعوراتكم. وليكن لكم في محاسبة أنفسكم واتهامها ومراقبتها ما يصرفكم عن مراقبة زلات الآخرين.

أيها الأبرار!

لقد جاء في الأثر أن المنافق يستصغر ذنبه، وأن المؤمن يستعظم ما يصدر عنه من الهفوات، فخذوا أنفسكم بشيء من الشدّة لتكفوها عن الوقوع في سخط الله، وانهضوا بها لتستكمل عن صفات الإيمان أوفرها.

لتهمّكم ذنوبُكم. ولتشغلكم عيوبكم. وذروا الناس إلى خالقهم، فليس أحدٌ منكم وكيلاً على الآخرين، والله تبارك وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧] ويقول له في آية آخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٤].

استعظموا ذنوبكم ومعاصيكم، ولا تراقبوا الناس، فلا يُسْأَلُ أحدٌ إلا عمّا قدمت يداه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا





يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿ كُلُّ ٱمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

واحذروا ـ يا أيها الإخوة في الله ـ أن تكونوا من أولئك الذين يستصغرون ذنوبهم ومعاصيهم، ولا همَّ لهم إلا إحصاء معاصي الناس ومخالفاتهم، يستعظمون الذنب إذا صدر من سواهم، ويتكبرون على خلق الله بغياً وعدواناً.. أولئك استحوذ عليهم الشيطان. وأولئك هم الخاسرون.

الجاهلية[1]

أيها المؤمنون!

الجاهلية ليست فترة من الزمن محدودة، ولكنها طابع روحي وعقلي معين، طابعٌ يبرز بمجرد أن تسقط القيم الأساسية للحياة البشرية كما أرادها الله، وتحلَّ محلها قيم مصطنعة تستند إلى الشهوات الطارئة، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم في حالة الارتقاء، كما كانت تعانيه من قبل في أيام البربرية الأولى.

فرسالتكم - يا أيها الأحبة - هي الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله والإيمان باليوم الآخر، وجائزتكم هي الخروج من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وقد ظهر فضل هذه الرسالة، وسهل فهمها في هذا العصر والحمد لله. فقد افتضحت الجاهلية، وبدت سوأتها للناس، واشتد تذمر الناس منها.. فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام، لو نهضتم واحتضنتم هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة.

أيها المؤمنون!

إنكم الأمل الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ العالم من الانهيار والانحلال.

---

(١) انظر كتاب محمد قطب جاهلية القرن العشرين ومقدمة سيد قطب لكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.





فاعرفوا مهمتكم، وتبينوا بوضوح معالم رسالتكم، وطبقوها في أنفسكم ومجتمعكم، لتسعدوا ولتُسعدوا بالتالي أمم الأرض كلها في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.



العزة الإسلامية

أيها المؤمنون!

إنَّ المؤمن يشعر بالعزة في كل أحواله.. إنه عزيز لأنَّ الله قضى بذلك ولا رادَّ لقضائه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وتنطلق هذه العزة من عبوديته لله ومن عقيدة التوحيد، فهو عزيز محكوما وحاكماً، وهو عزيز منتصراً ومنهزماً، وهو عزيز مقيماً في أرض الإسلام، وفي أرض الكفر.

أيها المؤمنون!

إن الله كتب لكم العزة ما دمتم مؤمنين كما كتبها لنفسه ولرسوله..

ولقد كانت العزة الإسلامية عامرة قلوب المسلمين على تعاقب أيام الدهر مهما كانت أوضاعهم وظروفهم.. ولقد جعلتهم هذه العزة التي كتبها الله لهم أكبر من كل قوة في الأرض حادت عن منهج الإيمان.

لقد جعلتهم هذه العزة يستعلون على تقاليد الجاهلية، وعلى قوانين البشر، لأنهاتقاليد لم تُبْنَ على الإيمان، وقوانين لم يشرعها الله.

لقد أورثتهم هذه العزة إباءً وارتفاعاً ولو كانوا قلة في العدد، فقراء في المال، ضعفاء في السياسة والسلاح.. إنهم في إبائهم وهم في هذه الحالة كما لو كانوا أقوياء أغنياء كثيرين.





إن هـذه العزة لا تغيب ولا تضعف مـا دام الإيمـان يمـلأ صـدور المؤمنين ولو تدبرنا قوله سبحانه يخاطب المؤمنين في أعقاب غـزوة أحد التي لم يكن النصر فيها حليفهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] لوجدنا فيهـا دليلاً لمـا نقول.. إنهم الأعلون ولو كانوا منهزمين في المعركة إن كانوا مؤمنين.

وشعورهم بهذه العزية يعيدهم إلى مكان القيادة والشهادة على الناس والتوجيه والهداية، ويهوّن عليهم اقتحام المصاعب.

يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

العمل الصالح

أيها المؤمنون!

إن العمل الصالح في نظر الإسلام ما كان مبنياً على الإيمان كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا العمل الصالح يؤدي إلى الحياة الطيبة في الدنيا..

فالمسلم في عمله يرعى حق نفسه فلا يظلمها بالشرك والمعاصي، ولا يحملها من الأعمال ما لا تطيق: «إن لربك عليك حقاً ولجسمك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه».

وهو في عمله يرعى حق زوجه وأبويه وأولاده وأقاربه فلا يقصر في القيام بواجباته نحو كل هؤلاء، ولا يظلمهم.

وهو في عمله يرعى حق الناس جميعاً بل والمخلوقات من غير بني آدم إنه بعمله الصالحات يكون عاملاً من عوامل الخير والإحسان وإحقاق الحق لا يثير مشكلة، ولا يؤذي مخلوقاً.

وهو يرضى بما قسم الله، ويقنع ويطمئن.. ويحيا الحياة السعيدة التي يتطلع إليها كل إنسان وقد يدركها وربما لا يدركها.



هذا كله في الدنيا أما في الآخرة فإنه سيجزى أجره بأحسن ما كان يعمل.. جنات تجري من تحتها الأنهار ورضوان من الله وخلود في النعيم المقيم.

اعملوا . . ولا تحقروا ما تستطيعون

أيها المؤمنون!

الوقت هو رأس ما لكم فلا تضيعوه سدى، فالذي يمضي لا يعود. . وتفويتُ الفرصة السانحة حماقة وأي حماقة.

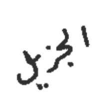
املؤوا أوقاتكم بالعمل الصالح ما دمتم قادرين. . ولا يحقرن أحدكم عملاً يراه هو يسيراً، فقد يكون لهذا العمل اليسير شأن كبير وأثر خطير.

لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق، ولا تزدرين من عمل الخير أمراً ولو كان إماطة أذىً عن طريق، فلقد عدَّ ذلك رسولُ الله من شعب الإيمان، ولا ترى الصدقة الممكن إخراجها من قبلك قليلة فقد توافي حاجة مستحكمة.

والأمور العظيمة ميسورة على صاحب الهمة العالية، والنفس الكبيرة، والإرادة الحازمة ولله درّ القائل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

وقد ييسرها الله لمن أخلص نيته له، ولم يرد إلا وجهه، فكم من إنسان عادي حقق شيئاً عظيماً لأنه ابتغى من عمله ما عند الله. هذا وإن لم ينجح في مقصده كتب له الأجر الجزير بنيته، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى. قال الأستاذ عصام العطار:





[والذي يحاول الأمر العظيم قد ينجح، وقد يخفق، وقد يصل إلى درجة بَيْنَ بَيْنَ. أما الذي لا يحاول فهو مخفق على أية حال.

حاول فالمحاولة النبيلة البصيرة هي في ذاتها بصرف النظر عن النتائج عمل جليل.

● حاول بكل ما تملك من قوة، وإخلاص، وحرص على أداء الواجب، . . فستكتشف من خلال المحاولة الجادة الصادقة نفسك وطاقتك، وستجد أنَّ قدرتك وإنجازك أكبر مما كنت تقدر بكثير][1].

---

(١) انظر مجلة الرائد العدد ٨٩ ص٦.



لنعمل بالطاقات العظيمة التي أودعها الله فينا

أيها المؤمنون!

لقد أودع الله سبحانه في الإنسان طاقات عظيمة جداً يستطيع أن يحقق بها كثيراً من الأغراض إن هو استغلّها أتم استغلال. وهذا ما نقرؤه في حياة العظماء، إذ نرى أنهم ينجزون أموراً هائلة في حياتهم.

ويمكن أن تُوَظَّفَ هذه الطاقات في فعل الخير، فتحقق مصلحة المجتمع، ويزيد الإيمان هذه الطاقات فعالية خيرة.

إن هذه الطاقات ينبغي أن يفيد منها الفرد والمجتمع، ولا يجوز أن تبقى كامنة محبوسة. ومن المؤسف أن نرى كثيراً من الطاقات في بلادنا مضيعة عندما يسيطر الخمول والكسل على أصحابها، أو عندما تكون الأنظمة الجاهلية لا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وما كان لهذه الطاقات أن تنطلق وتتفجر وأن يستفاد منها في الواقع إلا إذا كان المرء من العاملين.. إننا نحتاج إلى العمل في حاضرنا اليوم أكثر من احتياجنا إلى أي شيء آخر.

إننا نحتاج إلى أن يعمل كل منا بطاقاته كلها التي وهبه الله إياها ليكون عمله متقناً. أما التشاغل عن أداء الواجب، وإعطاء العمل أقل جزء من الاهتمام فذلك سبب من أهم أسباب التخلف الذي نعاني منه. إننا مطالبون أن يعمل كل منا بما يعلم من الإسلام. فما أكثر الأشياء التي يعرفها كل واحد منا.



العمل بجدّ وبكل طاقاتنا.. والعمل بما نعلم منطلقٌ أساسيٌّ من منطلقات تقدم حياتنا نحو الكمال ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾[التوبة: ١٠٥].

ولقد كبر مقت الله لقوم يقولون ولا يفعلون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

ومن هنا قرن القرآن الإيمان بالعمل في آيات كثيرة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[البينة: ٧].

أجل.. إن الإيمان ما وقر في الصدر وصدقه العمل.

العمل المطلوب . . واقع المسلمين

أيها المـؤمنـون!

قرأت في جريدة الأخبار المصرية في افتتاحية عدد ١١/٧/١٩٨٤م إحصائية مثيرة أوردها فيما يأتي:

[إنَّ إحصائيات ودراسات الأجهزة العلمية المتخصصة في الدول تقول لنا: إنَّ معدَّل عمل العامل المصري في مختلف الفروع لا يتجاوز ساعتين كلَّ يوم. وإذا كانت هذه الأجهزة العلمية مخطئة في تقديراتها، فإن الخطأ لن يتجاوز ربع ساعة أو نصف ساعة، وإذا تجاوزنا في تقدير الخطأ، وقلنا: إنَّ متوسط ساعات العمل اليومي هو ثلاث ساعات كل يوم، فمعنى ذلك أن هناك أربع ساعات عمل يومية مهدرة وهي أجر بلا عمل، وهي رأسمال بلا استثمار، وهي تجميد لأكثر من نصف الطاقة المطلوبة].

وأحب أن أقرر أن هذا ليس خاصاً بمصر، بل يؤسفني أن أقرر أن كثيراً من بلاد المسلمين ينطبق عليها ذلك.

لقد أثارت هذه الإحصائية عجبي، بل أذهلتني . . لماذا يكون المسلم على هذه الحالة المؤلمة؟ وفسَّرت لي ضآلة الإنتاج الذي نشكو منه في بلادنا وتخلف الجودة والإتقان.

إن هذا الواقع المؤلم يحتاج إلى أن يعالجه المصلحون والمفكرون. ولا بد من أن يكون العلاج والإصلاح نابعاً من أعماق النفس، لا بد من أن نوجد الاقتناع التام بفساد هذا الوضع، وإذا وجد الدافع الداخلي إلى العمل بصدق وإخلاص وحماسة بلغنا المطلوب.



ونستطيع أن نذكر بعض الأمور المهمة في هذا الموضوع:

١ ـ تنمية الخوف من الله، والخوف من أكل أموال الناس بالباطل، فالذي يأخذ أجراً على عمل ولا يؤديه يكون ما أخذه سحتاً وحراماً.

٢ ـ الخلاص نهائياً من آثار هذه الآفة الاشتراكية التي قضت على اقتصادنا وأموالنا ونهضتنا.

٣ ـ الرقابة الدقيقة على العمال والموظفين وكل من يعهد إليه عمل يدوي أو فكري.

٤ ـ الحزم ومعاقبة المقصر والكسول.

٥ ـ تشجيع المحسن والمنتج، ومضاعفة الأجور، إن العمال كثيراً ما يتعرضون لظلم كبير.

٦ ـ التوعية العامة وغرس الشعور بالمسؤولية.

إن المسلم جدير بأن يكون مثالاً للأمانة والإتقان في عمله «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه».

العمل يصدّق الإيمان

٨/٣/١٣٩١ هـ

أيها المؤمنون!

أنيبوا إلى ربكم، واتبعوا الحق الذي جاءكم من بارئكم، تحوزوا مرضاته وتكونوا من المفلحين.

واعلموا أن سبب تخلّف حال كثير من المسلمين أنهم يسمعون كلمة الحق ولكنَّهم لا يعملون، وتبلغهم كلمة الخير ولكنهم لا يعون ولا يستجيبون.

ألا فاستمعوا ما نزل إليكم من ربكم واتبعوه، واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، ففي ذلك ـ والله ـ عزكم وسعادتكم ورشادكم وهدايتكم.

ليكن عندكم ـ يا أيها الأبرار ـ الاستعداد الكامل لأن تتبعوا كل قول صالح، وتعملوا بكل وصية فاضلة، واحذروا أن تقولوا ما لا تفعلون؛ فقد ذمّ الله قوماً يقولون القول المعسول، ويفعلون من الأفعال المرذول، تأخذهم العزة بالإثم عند سماع الموعظة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ



بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وأثنى على قوم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وقرر أنّ هؤلاء عباده المهتدون فقال سبحانه:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

والإيمان هو ما وقر في الصدر وصدّقه العمل.



بطولاتنا مرتبطة بالإسلام

١٣٩١/٣/١٠ هـ

أيهـا المـؤمنـون!

في تاريخكم بطولات خالدات يفوح من ذكرها شذا عَبِق، وتنضحُ سطورها بمعاني المجد الزاهية، وتتألق في جبهة الماضي مفخرة لا تعدلها مفخرة في العدالة والرجولة والحق والإحسان.

وما كان ذلك كله في تاريخكم إلّا بعد أن هداكم الله بمحمّد ﷺ الذي فتح الله به قلوباً غُلْفاً، وأنار به عيوناً عمياً، وحوّل بدينه العظيم أمة العرب من أمة ترى الإبل والأنعام إلى أمة تقود الدنيا وتسود العالم وترعى الأمم.

ترعى

يـا أيهـا الأبـرار!

لقد أدرك الخليفة العبقريّ الفذّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الحقيقة فأعلنها كلمة مدوية تبقى على مدى الأيام شعاراً لأمة العرب كلما عراها ضعف أو حلت بها نازلة قال:

«نحن العرب قومٌ أعزّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

إننا ـ يا أيها الأحبة في الله ـ نرى مصداق هذه الكلمة في واقعنا نراها حقيقة ملموسة.

فما أحراكم أن تعيدوا سيرة سلفكم.





ما أحراكم أن تبنوا كما كانوا يبنون.

بل ما أجدركم أن تدفعوا عن أنفسكم وأمتكم الفساد والأذى الذي أنزله بكم عدوكم يوم أن أعرضتم عن دين الله ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

نحن العرب قومٌ أعزنا الله بالإسلام

أيها المؤمنون!

من الأمور المؤلمة لكل مؤمن ارتفاع شعارات جاهلية.. وحولها أحياناً محل الشعارات الإسلامية.. ومن ذلك رفع شعار القومية العربية المحاربة للإسلام. ومن المهم جداً أن تعرف الأجيال القادمة من كان وراء إشاعة هذا الشعار...

إنهم الكفرة من المستعمرين والنصارى المحليين، وارجعوا ـ إن شئتم ـ إلى كتاب يقظة العرب لجورج أنطونيوس المؤلف بالإنكليزية والمترجم إلى العربية لتروا الدليل القاطع.

إننا ـ نحن العرب ـ لم ندخل التاريخ إلا بالإسلام. لقد كنا قبل الإسلام في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، نعيش على هامش التاريخ، ولا يكاد يُحسّ بوجودنا أحد.

إن أبطال العرب كلهم هم أبطال الإسلام، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة وخالد وسعد.. ولولا الإسلام ما كانوا يذكرون.

ومن هنا كانت كلمةُ عمر حكمة بالغة تصدق على أمة العرب في كل عصر.. تلك الكلمة هي قوله «نحن العرب قومٌ أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

إي والله.. إن هذه الكلمة لتصدق على العرب في عصرنا هذا: لقد ابتغى بعض سادتنا وكبرائنا العزة في يوم قريب من أيام عصرنا بالقومية



وخاضوا معركة ١٩٤٨م في فلسطين تحت شعار العروبة فكان الذل لهم والهزيمة عليهم وضاع معظم فلسطين.

وابتغى العزة سادة آخرون مرة أخرى بالاشتراكية وخاضوا معركة ١٩٦٧م تحت شعار الاشتراكية، فكان الذل لهم والهزيمة عليهم وضاع الباقي من فلسطين.

ليس من شك في أنّ الله شرّف العرب عندما اختار خاتم رسله منهم، وعندما أنزل كتابه الخالد بلغتهم.

إن الإسلام هو الذي حفظ على العرب وجودهم ولغتهم وهو الذي ضمن لهم خلود الذكر عندما رفع ذكر رسول الله ﷺ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

أيها المؤمنون!

أي خزي يلحق أولئك الناعقين بشعار الضلالة عندما يدعون أنَّ نبينا محمداً ﷺ زعيم عربي ويُكَذِّبُونَهُ في أنه نبي. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. فلا عزة لنا إلا بالإسلام.. فإلى الإسلام يا عرب.. إلى العزة والسعادة.

الإسلام أصل قيمنا ومثلنا

١٥/٣/١٣٩١ هـ

أيها المؤمنون!

إنكم ـ بفضل الله عليكم بالإيمان ـ الأملُ المشرقُ الذي يتراءى مُنْقِذاً للإنسانيةِ كافةً، . . . منقذاً يضمنُ إعادة الهدوءِ والاتزانِ، والاستقرارِ والاطمئنانِ، للنفسِ البشريةِ التائهةِ القلقةِ في هذا الزمان.

إنكم ـ يا أيها الأبرارُ ـ الفئةُ المرجوّةُ لحلِّ أزماتِ الإنسانيةِ المستحكمةِ. . تلك الأزماتُ التي أخفقتْ كُلُّ النظرياتِ في حَلِّها. . ولا عجبَ في أن تكونوا كذلك لأن الإيمانَ وعاءُ الرجولةِ والبطولةِ والصدقِ والأخلاصِ.

فاحرصوا على أن تُحَقِّقُوا الأملَ المرجوَّ، وعلى أن تأخذوا أنفسَكم بما يُؤَهِّلُكم للقيامِ بذلك.

إنَّ الإنسانية لا تستطيعُ أن تعيشَ دونَ مُثُل.

والدينُ ـ مهما كانَ رأيُ الناس فيه ـ سندٌ لكل المُثُلِ العُلْيَا، وسببٌ في قيامها ووجودِها واستمرارِها. ومِنْ هُنا نستطيعُ أن نُقَرِّرَ أَنّ الدينَ هو المنبَعُ الأصيلُ الذي يَفيضُ بماءِ الحياةِ، يُروي شجرةَ المثُل الفاضلةِ ويُمِدُّها بعناصر القوةِ والنماء.



يـا أيهـا الأحبـــة!

لئنِ اشتدّتْ على الناسِ وطأةُ النزعةِ الماديةِ في هذه الحضارةِ التي لا تنظر إلا بعينٍ واحدةٍ، ولا تمشي إلا على رجلٍ واحدةٍ والتي جعلتْ كثيراً من الناس عبيداً للمنفعة العاجلة والأنانية الضيقة. . لئن كان ذلك إنَّ تَطَلُّعَ الناسِ إلى المُثُلِ قائمٌ في أعماقِ نفوسهم، يدل على ذلك واقـعُ شبابِ الغربِ المتمـردِ على حضارتِـهِ بألـوانٍ مختلفةٍ من التمـردِ كالعبث واللامبالاةِ والإقبال على النزعاتِ الروحية الشرقية السخيفة.

يـا أيهـا المـؤمنـون!

اعرفوا مكانتكم ودوركم المنتظر واعلموا أنكم إن صدقتم الله خيرُ أمةٍ أُخرجتْ للناس ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مهمة عظمى تنتظر المؤمنين

أيها المؤمنون!

إن المهمة التي تنتظركم هي إنقاذ الإنسانية من الدمار.

وأنا والله أعني ما أقول، ذلك لأن هذا العالم إن لم تتداركه رحمة الله فهو سائر إلى الدمار.

نظامه الاقتصاديُّ فاسد، ويكفينا في هذا أن نذكر أن عدداً من كبار رجال الاقتصاد الأوروبيين قرروا أن الربا هو السبب في تعاقب الأزمات الاقتصادية وتخلف الأوضاع الاقتصادية.

ونظامه السياسي فاسد، وها هي ذي الشيوعية سقطت في معاقلها وشرع المغفلون من المخدوعين يقفون على الحقيقة المؤلمة، وستتبعها الرأسمالية.

ونظامه الأخلاقي فاسد، ونظرة إلى واقع أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا من فقدان الأمن وانتشار الأمراض الفتاكة دليل مقنع على فساد ذاك النظام الأخلاقي.

وكذلك أوضاعه الفكرية والروحية والاجتماعية... وهذه المهمة المطلوبة لا تتحقق إلا بأن يقيم المؤمنون المثل الحي بإقامة القدوة أولاً وذلك بأن يعملوا بأحكام دينهم العظيم، ثم بأن يدعوا الناس بكل الوسائل التي تتاح لهم من صحافة وإذاعة وتلفاز ومحاضرات ونحو ذلك.





إنّ امرين ظهرا في الأيام الأخيرة يسهلان على العاملين تحقيق مهمتهم:

أما أولهما فهو ظهور إفلاس حضارة الغرب المسيطرة على العالم.. ظهور ذلك عملياً.

وأما ثانيهما فهو استيقاظ الفطرة في نفوس عدد كبير من الناس.

والمؤمنون هم المكلفون بالقيام بالتوجيه والإرشاد.. فاعرفوا مكانتكم، واغتنموا هذا الظرف، وخذوا بأيدي المستضعفين ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].



اغتنام فضيلة بعض الأمكنة والأزمنة

أيها المؤمنون!

إنَّ الله تبارك وتعالى جعل ـ لحكمة يعلمها ـ لبعض الأزمنة، ولبعض الأمكنة مزايا لا توجد في غيرها من الأزمنة والأمكنة.

فمن الأزمنة المباركة شهر رمضان وعشر ذي الحجة ويوم الجمعة.

ومن الأمكنة المباركة مكة المكرَّمة والمدينة المنورة والمسجد الأقصى فعليكم يا أيها الأبرار أن تغتنموا حلول تلك الأزمنة أو نزولكم في تلك الأمكنة.. أن تغتنموها بالإكثار من الأعمال الصالحة.

اغتنموا موسم الخير في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.. اغتنموه بالطاعة والإنابة، والعمل الصالح والاستغفار والتوبة.

واغتنموا عشر ذي الحجة بالصيام المندوب والعمل الصالح.

واغتنموا يوم الجمعة الذي يحل بكم كل أسبوع، ففيه ساعة الإجابة لا تدعوا هذه المواسم تفوتكم.. فما تدرون: هل يُنسأ لكم في الأجل لتدركوا أمثالها؟ لا تُسَوِّفوا فكم من إنسان أتاه موسم من هذه المواسم فسوّف وأجَّل حتى جاءه الأجل على حين غرة. ففاته خير كثير. وكذلك فاحرصوا يا أيها المؤمنون إذا كنتم في مكة أو المدينة أو المسجد الأقصى أعاده الله إلى المسلمين احرصوا على الإكثار من الصلاة وعمل الخير والصدقة، فما تدرون: هل تكتب لكم العودة إلى هذه الديار المقدسة. أقبلوا على الله، وأخلصوا أعمالكم لله، وَصَفُّوا أنفسكم من شوائب الحقد والشحِّ،





والحسد والأثرة، واحفظوا جوارحكم من المعاصي، فصونوا ألسنتكم عن قول الخنا والإثم والفسق والرفث والسب، وغضوا أبصاركم عن المعاصي، وكفوا أيديكم عن الإثم، لتتعودوا الخير والطاعة وتفوزوا برضوان الله وذلك هو الفوز العظيم.



استجيبوا لله والرسول

أيها المؤمنون!

إن ربكم قريب منكم، وهو بكم رؤوف رحيم، وقد أمركم أن تستجيبوا له، فأقبلوا عليه منيبين، وادعوه مخلصين له الدين يستجب لكم دعاءكم، ويسعدكم السعادة التامة. وتبلغوا منزلة الرشاد يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعلموا أن بني آدم خطاؤون وأن التوبة والاستغفار دواء القلوب، وجلاء الصدور، وسبب دوام النعم، وتوالي المنن...

وأنتم لا تحتاجون إلى وسيط.. فادعوه وألحوا في الدعاء، واسألوه وثقوا بتحقق الإجابة، لأنه وعد ووعده حق وهو أصدق القائلين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فاستغفروا ربكم وتوبوا إليه.

إنَّ المؤمن يحمل بين جنبيه قلباً يقظاً واعياً حاضراً، فإذا زلَّت قدمه يوماً تفجَّرت في قلبه ينابيع الحسرة والندم على تلك الزلَّة، وسرعان من يذكر عفو الله ورحمته، فيلجأ إلى رحابه يرجو النجاة والمغفرة ويطلب السلامة، ويذكر عقوبة الله وبطشه فيعمد إلى التوبة وسيلقى الرحمة والمغفرة ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].





إنكم مطالبون يا أيها المؤمنون بأن تستجيبوا لدعوة الله فإنها دعوة الحياة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].



إطعام الطعام

أيها المؤمنون!

أطعموا الطعام.. فإنها وصية الله عز وجل ووصية رسوله ﷺ.

يقول ربنا تقدست أسماؤه عن الهدايا التي تقدم في موسم الحج: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

ويقول رسول الله ﷺ فيما صحَّ عنه: «يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي والحاكم(١).

وأثنى الله على الأبرار من أهل الجنة، الذي يتصفون بعدد من الصفات، منها إطعام الطعام ابتغاء مرضاة الله فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

(١) انظر تخريجي للحديث في كتابي الحديث النبوي ص ٧١.



مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ ـ ١٢].

إن إطعام الطعام يورث المودة والمحبة، ويحقق التآلف والتماسك بين أبناء المجتمع، ويعمق معنى الأخوة والإيثار.

إن إطعام الطعام يصون المجتمع الإسلامي من عوامل الانهيار والتمزق والهدم التي تعمل على إيجادها المبادىء الهدامة.

فليس من صفات الإيمان أن يبيت المرء شبعان، وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم.

ألا فليكن إكرامكم الفقراء، وإطعامكم الأصدقاء بعيداً عن المبالغة في التكلف نائياً عن المفاخرة والتظاهر باليسر والوجاهة.. فذلك رياء محبط للعمل.. ولا تلتفتوا إلى كلام الناس.. بل أخلصوا أعمالكم لله.



من صفات المؤمنين

أيها المؤمنون!

افتحوا قلوبكم لنداء الحق، ونَقُّوها من الغل والحسد، والكراهية والبغضاء، واذكروا إخوانكم البائسين.

أقبلوا على الله، وأقيموا حدوده، وأنفقوا مما أعطاكم، واجتنبوا محارمه، تقبل عليكم السعادة في الدنيا، وتحرزوا النجاة يوم القيامة. افتحوا بيوتكم للمحتاجين والملهوفين، واقضوا لهم حاجاتهم إن كنتم تستطيعون.

صلوا أرحامكم، وادعوا إلى موائدكم أقرباءكم وجيرانكم وأصدقاءكم، تتوثقْ علاقات الود والأخوة بينكم.

افتحوا خزائن أموالكم وجيوبكم، وتذكروا الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والمحتاجين والمجاهدين.

أنفقوا في سبيل الله، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، أعيدوا ماضي أمتكم بامتثال أمر ربكم. وتحققوا بصفات المؤمنين الصادقين، عسى ربكم أن يفرج كربتكم، ويعيد إليكم عزتكم وسيادتكم وقيادتكم لركب الإنسانية.

واذكروا قول الرسول العظيم ﷺ: «بدأ هذا الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء». قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].



الأولاد

أيها المؤمنون!

أولادُكم أمانةٌ في أعناقكم، فاتقوا الله في أولادكم. أَوْلُوهم عنايتَكم ورعايتَكُمْ، فأنتم عنهم مسؤولون.

واحذروا أيها الأبرار أن يكون اهتمامكم منصباً على أبدانهم ودراستهم فقط، فهذا من أكبر التقصير.

إن البدن إن زهقت الروح جثة هامدة لا يعبأ بها العقلاء.

اهتموا بأرواحهم، أولاً ثم بأبدانهم وتحصيلهم العلمي الدنيوي ثانياً.. وتنبهوا للمتع التي سيشغلون بها أنفسهم، وبالأصدقاء الذين يعاشرونهم.

أما المُتع فقد دسَّ الكفار لنا السمَّ في كثير منها.. فلنراقب هذه الأفلام والألعاب والقصص، فما أكثر ما يجد المتفحص فيها عوامل الهدم وبذور التشكيك بالقيم المثلى.

وأما الأصدقاء فما أعظم تأثيرهم وما أخطره.. فكم من صديق أهلك صديقه، وكم من رفيق أنقذ رفيقه من النار. فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

حاولوا أن يكون هناك برنامج دقيق يُعنى بأرواحهم وعقولهم وأبدانهم.. ومن لم يستطع وضع هذا البرنامج فليسأل أهل الذكر والاختصاص من أطباء الأرواح.. وما أطباء الأرواح إلا العلماء العاملون



الصالحون. وساعدوهم على اختيار الصديق الصالح.. وراقبوهم ولا بُدَّ من تـدخلكم في أول الأمر.. اعملوا على أن تسمـوا بأخـلاقهم بـالتـرويض والنصح والتهذيب.

اصقلوا أرواحهم بالدعـاء والعبادة والصلة بـالله.. ارتحلوا بهم إلى الديار المقدّسة إن استطعتم فللعمرة والحج تأثير كبير في النفس.

احرصوا على أن تكونوا معهم أطول مدة مستطاعة موجهين وأصدقاء ومرشدين. وليتعـاون الوالـدان على ذلك.

إنهم أمانة في أعناقكم، إنهم رعيتكم، فلا تخونوا الأمانة ولا تضيعوا مـا استـرعـاكم الله فيـه، وأنتم مسؤولـون عن رعيتكم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

المغالاة في حب الأولاد

أيها المؤمنون!

من الحكم التي نلمسها في تعاليم الإسلام ووصاياه أنَّ الأمور التي تدفع إليها الفطرة لا يلح عليها، لأن الفطرة التي سوّاها الله تؤدي الغاية المطلوبة، ولا يعارض ما تدعو إليه الفطرة، ولكنه ينظمها وينبه إلى أن المغالاة في الاستجابة للفطرة حتى تجاوز الحدَّ المقبول خطر مدمر وقد يودي بصاحبه في وديان الضلال. والمثال على ذلك رعاية الأولاد والعطف عليهم:

● الرعاية والعطف على الأبناء مقصد هام تريده الشريعة، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١] وقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم﴾ [الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٣١] ونجد في عموم آيات عدة ما يستدل به على الحث على ذلك، ونجد عدداً من الأحاديث ترغب في ذلك. ولكنها لا تصل إلى حرارة النصوص المتعلقة ببر الوالدين، والسبب في ذلك هو هذا الذي نقول.

لقد نبهت هذه الشريعة العظيمة المنزلة من عند الله إلى أن المغالاة في حب الأولاد قد توقع فيما لا يرضي الله، فذكرت نصوصها أن الأولاد ابتلاء واختبار. قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٢٨] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ



﴿وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] وحذر المؤمنين من أن تلهيهم أولادهم عن ذكر الله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

إن الحياة الدنيا مزدحمة بالمغريات والشهوات، مترعة بصنوف الخداع والتغرير، وما أفْتَكَ مصارعها، وما كانت كذلك إلا ليكون الابتلاء بها أشدَّ إحكاماً، وأوفر دقة، ومن أجل ذلك كانت حلوة خضرة، وكانت شهواتها محببة، وكانت مفاتنها غرارة. والولد زينة الحياة الدنيا، فليحذر العاقل من أن يلهيه عن ذكر الله.. حتى لا يكون من الخاسرين.

بل ذهب القرآن إلى تقرير حقيقة مفزعة يغفل عنها كثير من الناس، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

إن الإسلام لينادي أتباعه خوفاً عليهم من أن تستبد بالواحد منهم عاطفة الأبوة والأمومة حتى تجعله نصيراً للباطل يراه ويؤيده.. يناديهم: احذروا من أعدائكم عدواً قريباً منكم يعايشكم.

واجبنا نحو الأولاد

تعز ٢١ ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ

أيها المؤمنون!

اتقوا الله في أولادكم.. إنهم رجال الإسلام وأمله.

منهم الحكام والمفكرون والعلماء والأدباء وقادة الفكر، فلتشعروا بعظم المسؤولية نحوهم.

إن عليكم أن تتعهدوهم بالرعاية والعناية والتربية والتعليم، وفي مرحلة من المراحل يجب عليكم أن تراقبوهم.. احذروا من أن ينشؤوا على قتل الوقت وتضييعه.. إن الوقت هو رأسمال كل واحد منهم إن ضيعه كان من الخاسرين، وإن أحسن الاستفادة منه على الوجه المشروع سعد في الدنيا والآخرة.. علّموهم قيمة الوقت بالقول والقدوة.

واعرفوا يا أيها المؤمنون أصدقاءهم، واحذروا من أن يكون لهم أصدقاء سوء فإنهم يفسدون عليكم تربيتكم.. وهذا عام في البنين والبنات هناك كوارث تحصل أحياناً بسبب الصديق والصديقة تقضي على دين الفتى والفتاة وخلقهما.

ومن الواجب عليكم أن تهيئوا لهم الجوّ الذي يعرفهم بأحكام الدين من الواجبات العينية، وكلما كان ذلك عن طريق القدوة كان أكثر تأثيراً في نفوسهم وأبقى، وليكن تعليمكم إياهم هذه الأمور بالأسلوب المحبب، الذي يكون قريباً من نفوسهم واصبروا على ما تلقون منهم.





﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].



إغاثة الملهوف

أيها المؤمنون!

إنّ إغاثة الملهوف من أكبر صنائع المعروف.

وصنعُ المعروف فرصةٌ إنّ أُتيحتْ لَكَ فلا تُضيّعْها، فَرُبَّما تَقْضي عُمُرَكَ كُلَّهُ دونَ أن تتكرر هذه الفرصةُ.

يا أخي!

عليكَ أن تغتنمَ مواسمَ الخير، وفُرَصَ الإحسان؛ فإنّ ذلكَ يقودُكَ إلى السعادةِ في الدنيا والفوزِ يومَ القيامة.

إنّ إغاثتك الملهوف تُكسِبُكَ وُدَّ مَنْ تُغيثُهُ؛ لأنّ النفوسَ جُبلت على حُبّ من أحسن إليها، وبذلكَ تكونُ محبوباً في الدنيا مكرَّماً بينَ أبنائها. وإنّ أخلصتَ نِيَّتَكَ في فعلِكَ المعروفَ كَسَبْت رِضى الله وثوابه وفي ذلك الخيرُ العميمُ والسعادة التامة.

يقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته يوم القيامة، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

افعل المعروف، وأغث الملهوف، وأعن الضعيف، وخذ بناصر المظلوم، وكفكف دموع البائسين، وساعد المحتاجين، واعلم أنّ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.



الإنسان ضعيف

أيها المؤمنون!

ما أضعف الإنسان.. إنه ضعيف ضعيف.. كما قال ربنا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

الإنسان ضعيف في حال صحته؛ لأنه محكوم بغريزة الجنس، وبضرورة الأكل والشرب، وبغريزة حب البقاء وحب التملك، وقد يضحي في سبيل ذلك بكل شيء بطاقاته وبإرادته.

ضعيف في حال مرضه؛ لأنه يكون معرضاً لأشد أنواع الألم والمخاوف.. يضج ويصيح ويفرق ويفزع ويبدي حقيقته الضعيفة.

ضعيف أمام القوى الأخرى كالجراثيم والرصاص والحيوان المفترس.

ضعيف أمام نفسه التي بين جنبيه.. ضعيف أمام عقله.. ضعيف أمام الأحداث.. لا يستطيع أن يتقدم ولا أن يتأخر.. وكثيراً ما ينهزم وينهار أمامها.

فلا تعتمدوا على قوتكم الموقوتة.. وعوذوا بالله.. والتجئوا إلى قوته تكونوا أعظم قوة في الوجود.





﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥] ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].



الوقاية من أسباب الهلاك

أيها المؤمنون!

ما أكثر عوامل الانحراف! وهذه العوامل قديمة، كانت منذ أن أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، فقام أهل الباطل يكذبونهم ويستهزئون بهم، ويعذبونهم وقد يقتلونهم، وهي هي نفسها في العصر الحاضر، ولكنها عرضت بطرق ووسائل تتصف بصفتين:

١ ـ الشحول والتغلغل.

٢ ـ وشدة التأثير لاعتمادها في مواجهة الناس على الدراسة والتخطيط.

إنَّ عوامل الانحراف أصبحت متغلغلة تتجاوز الحدود، وتقتحم على المرء في الحاضرة والبادية مسكنه، وتصل إلى سمعه إذا تحرك هنا أو هناك.

وقد تترست بوسائل المتعة التي تستريح إليها النفس وتميل إليها. فكان تأثيرها كبيراً. فلنحاسب أنفسنا. . ولنتق أسباب الهلاك. فاليوم تنفع المحاسبة ويفيد الاتقاء، وسيأتي يوم عصيب لا تنفع فيه المحاسبة ولا يفيده فيه الاتقاء.

لنراجع أنفسنا وما سلف منا، ولنتدارك الأمر بالنسبة لنا قبل أن يأتينا الأجل، وبالنسبة لأجيالنا المقبلة قبل أن يفلت منا الأمر. ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.



الشباب

أيها المؤمنون!

الشباب أمل الغد وربيع العمر، وأوان الجد والتحصيل، والبناء والتنفيذ، وشباب اليوم هم رجال المستقبل، منهم سيكون العلماء والحكام، والقواد الأعلام، والمعلمون والمربون، والموظفون والعاملون.

ومن هنا كانوا - في مجال الفعالية - يأتون في الطليعة، يبنون ويجاهدون، ويقومون بما لا يستطيع غيرهم ممن تقدمهم في السن أن يقوم به.

ومن هنا كان للشباب تقدير متميز في الإسلام. نجده في عدد من أحاديث النبي ﷺ فالشاب الناشىء في طاعة الله يستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويقرن بأفراد فئة الرواد الصالحين أمثال الإمام العادل والرجل الذي تعلق قلبه بالمساجد والمنفق في سبيل الله مخفياً صدقته، والعفيف الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فعف واستعصم وقال: إني أخاف الله، والمتحابان في الله، والصادق في خشوعه وذكره إذ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه بالدموع.. إنهم صالحون رواد.. نخبة مختارة.. الشباب الناشىء في طاعة الله معهم.

وكان الشباب مرحلة يفرد السؤال عنها يوم القيامة.. فلا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أمور منها عن شبابه فيما أبلاه.. ولم تخصّ بالسؤال إلا لأهمية لها كبيرة.



وكم كان في أصحاب رسول الله من أمثال هؤلاء الشباب الصالحين.. الذين لا يلهون ولا يعبثون.. ولا يتتبعون الشهوات.. بل ينصرفون إلى طاعة الله ومعرفة دينه والجهاد في سبيله، والأمثلة على ذلك كثيرة وافرة، وسأعدد أسماء لكل منهم تاريخ حافل. فمنهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو، وسعيد بن العاص، وأسامة بن زيد الذي ولاه رسول الله إمرة جيش فيه أبو بكر وعمر، وكذلك كان الحال في أيام التابعين، ويكفينا أن نذكر محمد بن القاسم الذي قاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة حجة.. حتى فتح بلاد السند والهند.

فيا أيها الشباب احفظوا هذه المرحلة من العمر، واغتنموها للطاعة والتحصيل فعلى سواعدكم يقوم البناء. والله الموفق.



الشخصية المسلمة

أيها المؤمنون!

إننا ـ نحن المسلمين ـ نحتاج في هذه الآونة الحرجة الصعبة إلى الشخصية المسلمة، في كل مجالات الحياة من فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

الشخصية التي تتمرد على فساد الخلق، وانحراف الفكر، وسلطان الشهوة، وتأثير المادية، وفوضى النظم. ونستقيم على مبادىء الإسلام العظيم. فتفكر بعقلية قامت على أسس ثابتة من الإسلام، وتتصرف في معاملتها الآخرين بوحي من عقيدة الإسلام.

هذه الشخصية التي تحدثنا عنها كتب التاريخ، والتي كانت ملموسة في أخبار أولئك القادة والأمراء والعلماء، الذين نشروا نور هذا الدين في الدنيا المعمورة.

إن النصوص محدودة، وحوادث الدنيا ودقائقها غير محدودة، فلا بُدَّ من قيام هذه الشخصية التي تحدد مواقفها نحو الحوادث والوقائع المتجددة على وجه سليم.

وصنع هذه الشخصية ليس بالأمر اليسير. إنه مطلب جليل.

وعلماء الأمة ومربوها وحكامها مطالبون بتحقيق هذا المطلب.

وليسوا هم وحدهم المطالبين بذلك، بل إن كل أب وكل أم بلغا منزلة الوعي والشعور بالمسؤولية مطالب بالعمل على تحقيق ذلك، إن



الخطوة الأولى في ذلك إدراكُ حاجتنا إلى تلك الشخصية المسلمة.. ثم التصميمُ على توفيرها عن طريق مناهج الدراسة وعن طريق وسائل الإعلام المتعددة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وعن طريق المسجد والبيت.

وبإمكانك يا أخي أن تسهم في إنشائها عن طريق التربية البيتية التي هي اللبنة الأولى في بناء الشخصية الإنسانية.

الإنفاق

أيها المؤمنون!

الحرص غريزة ثابتة في الإنسان، وكلما كبر كبرت هذه الخصلة معه ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] ولا بُدَّ في الحياة الفاضلة من التعاون، والتعاون يتطلب البذل والإنفاق. وهذا ما جاء به الإسلام العظيم الذي حضَّ على البذل والإنفاق ومساعدة المحتاجين بالترغيب والترهيب والزجر، وروَّض نفوس أتباعه على ذلك حتَّى كان ذلك المجتمع المثالي. والمنهج الإسلامي التربوي في هذا الشأن منهج متميز.

● كان من تعاليمه إيجاب الزكاة، يحمل التمكلف على أدائها وتجبيها الدولة، ومن امتنع عن أدائها قوتل كما فعل ذلك الصديق رضي الله عنه.

● وجاء في القرآن تهديد ينخلع له قلب المرء ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

● وكان من تعاليمه الدعوة إلى الإنفاق لا على سبيل الوجوب، والترغيب فيه. لا يحمل على الفرد ولا تتولاه الدولة. دعت إلى ذلك آيات من القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.



● ووعد الله بأن يخلف على من أنفق: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ووعد بأن يجازي الحسنة بسبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

● والإنفاق أمرٌ يحقق لصاحبه رضوان الله وثوابه، ولذلك كان الشيطان معارضاً له قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧ - ٢٦٨].

ولما كان ذلك كذلك فلا بد - يا أيها الأخوة في الله - من ترويض نفوسنا على البذل وقد يكون الأمر في أوله صعباً.. ولكنه يضحي أمراً عادياً نألفه ونقدم عليه.

فأخرجوا زكاة أموالكم، وتصدقوا على البائسين، وأطعموا الفقراء والمساكين وصلوا الأرحام. وأبشروا بتحقيق وعده سبحانه الذي لا يتخلَّف.



الصراع بين الحق والباطل

أيها المؤمنون!

إنَّ الحق في صراعٍ مع الباطل، منذ أن كان الحق في هذه الدنيا، وسيبقى هذا الصراع قائماً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولكنّ الباطل زهوق إن تصدَّى له الحق: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ويدفع الحقُّ الباطل وَيَدْمَغُهُ ويقضي عليه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٨ ـ ٤٩].



وهكذا فإن الباطل لن تكون له الغلبة والسطوة إلاّ إذا نام أهل الحق، وتخلوا عن تبنيه ورفع شعاراته وحمل رايته والدفاع عنه.. نعم.. عندما يتوارى حملة الحق من ساحة المعركة وميدان الجهاد، فيخلو الجوّ للباطل وأهله. إن شمعة واحدة تستطيع أن تطارد فلول الظلام.

فهبوا يا أيها الأخوة في الله لنصرة الحق الذي تعتقدون، اعملوا بما أمرتم به، وانتهوا عما حُرِّم عليكم، وبلغوا ولو آية، ومروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واصبروا على ما أصابكم، واثبتوا أمام المصاعب والأذى ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ



وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[آل عمران: ١٨٦].

فاحذروا أن تضعفوا أمام المغريات والمخاوف، فإن نصر الله لمن نصره، والعاقبة للمتقين. قال الأستاذ عصام العطار: [لا ينتصر الباطل إلا بضعف الحق، فلا تجعلوا أنفسكم بضعفكم سبباً في انتصار الباطل في بلادكم أو في عالمكم في أي ميدان من ميادين الحياة، وإلا كنتم - وإن لم ترغبوا أو تعترفوا - شركاء الباطل في جرائمه][1].

---

(١) مجلة الرائد.

المؤمنون يتطلعون إلى الجنة ورضوان الله

أيها المؤمنون!

لكل امرىء أهداف في حياته يسعى إليها.

وإنَّ حكمنا على إنسان ما مرتبط إلى حد بعيد بمعرفتنا لهدفه.

وإذا كانت النفوس كبيرة لم تقنع بالهدف البسيط.. بل إنها لتطمح أن تحقق أعظم المنى.

أما النفوس الصغيرة فهي لا ترمي إلى أكثر من الأمور المحدودة التافهة، وحياتنا يا أخي لا تنتهي بالموت، لا.. بل إن لنا حياة أخرى أبدية لا نهاية لها. فمن كانت نفسه كبيرة تطلع إلى الفوز في هاتيك الحياة ليضمن السعادة الكاملة. وأما من كانت نفسه صغيرة فإنه لا يقوى على الرؤية البعيدة، ويظن أن حياته كلها هي التي تكون على هذه البسيطة، وهذا الظن إثم كبير.

ولقد أرادك الإسلام يا أخي أن تكون صاحب نفس كبيرة، لأنّ المهمة التي نيطت بك لا يقوى عليها إلا ذوو الهمم العالية، ولم يَرْضَ لك أن تنصرف عن الغاية الأسمى بحطام زائل، ولا بعرض حائل.

وأبان القرآن أن من طبائع الناس الولوع بالشهوات، وأن الذين اتقوا يتطلعون إلى ما هو خير وأبقى.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ





ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾

[آل عمران: ١٤ - ١٥].



لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

أيها المؤمنون!

إن الإسلام دين الحياة.

وقد نظم شؤون المجتمع أتم تنظيم، ورسم آداب المعاملة الراقية، وأقام أسس الحياة الفاضلة.

فكفل للناس بذلك كل خير وسعادة، ونأى بمجتمعهم عن كل سوء وأذى، ووطد الأخوة بين المسلمين، وقرر أن من أهم واجبات المسلم رعاية هذه الأخوة، فليس له أن يؤذي أخاه المسلم ولا أن يحقره ولا أن يظلمه.

فحذار يا أخي من أن تفرط بحق هذه الأخوة، أو أن تتصرف تصرفاً يؤدي إلى إيذاء إخوانك المسلمين.

يا أخي راع أهلك وولدك، فلا تنفرهم من الحق الذي ترغب أن يحملِه.

يا أخي. راع المارة الذين يمرون تحت دارك فلا تلق فوق رؤوسهم ما يؤذيهم.

وراع جيرانك فلا تزعجهم بالمذياع أو إلقاء القمامة.

وراع معاشريك فلا تضجرهم بغلظة طباعك، وجفاء معاملتك.

وراع مواطنيك إن كنت سائق سيارة فلا تروعهم بمغامرتك ولا بصوت المنبه.





وراع المراجعين إن كنت موظفاً وعاملهم بخلق الإسلام.

إن الحياة الإسلامية يا أخي هي الحياة اللطيفة اللبقة المحببة.

فهل لك يا أخي في أن تحمل نفسك وأهلك علىٰ ذلك النهج القويم لتبدو من خلال تصرفاتك الصورة المشوقة للإسلام.

وما أروع تلك الكلمة الخالدة التي ربط فيها رسول الله اكتمال إيمان المسلم بمحبته للآخرين ما يحب لنفسه حيث يقول:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

الثناء على الصالحين . . وفضح زيف الدجالين

أيهـا المـؤمنـون!

هناك أمور مهمة لها تأثير كبير، ونفع جليل، يهملها الدعاة لأنهم لم ينتبهوا إليها ولم يلفت أنـظارهم إلى أهميتها أحد، فمن ذلك الثنـاء على الصالحين، وكشف زيف الدجالين:

● إن الثناء على الصالحين السابقين والمعاصرين وسيلة تربوية لها أثرها الفعال. فالثناء على الصالحين وفاء، واعتراف بالفضل لأهله، ومكافأة لهم، وتشجيع للناشئة على سلوك هذا السبيل. . فحب الثناء طبيعة مركوزة في الإنسان.

وهذا الثناء ينبغي أن يلتزم بالحدود الشرعية، فلا تكون فيه مبالغة، ولا يكون فيه كذب ولا رياء.

أما بالنسبة للسابقين الذين فارقوا هذه الدنيا فلا محذور منه أبداً. . بل هو خير كله إن كان ملتزماً بما ذكرنا.

وأما بالنسبة للأحياء. فقد يكون عاماً دون ذكر الأسماء. . وهذا أيضاً لا محذور منه ما دام ملتزماً بالحدود الشرعية، وقد يكون خاصاً بأن يذكر المحسن باسمه، وهذا يختلف الحكم عليه من إنسان لآخر، فقـد يكون مؤذياً عندما يترك في نفس المذكور غروراً وحرصاً على الظهور، وهو عندئذ محظور؛ لأنه ـ كما ورد في الأثر ـ ذبح لمن يقال فيه، ولذا كان النهي عن مدح المرء في وجهه. وقد يكون مفيداً عندما يزيد في إيمانه ويرغبه في



الاستزادة من الخير، ويحض أهله وأحباءه على إعانته في المضيّ في طريق الصلاح.

● وأماكشف زيف الدجالين السابقين والمعاصرين فهو وسيلة تربوية ناجعة نافعة، ففي كشف زيف أصحاب الدعوات الهدامة، وذكر الحقائق المخزية لهم إحقاق للحق، وتحذير للناس من باطلهم، وصون لأبناء الأمة من أن يخدعهم خادع أو يغرر بهم مغرر.

وهذا الكشف ينبغي أن يكون ملتزماً بحدود الشريعة فلا تكون فيه مبالغة ولا تزيد، ولا يجوز أن يكون نقده هذا يستهدف مصلحة شخصية لولاها ما انتقده ولا كشف باطله. بل يجب أن يكون عمله خالصاً لله، دائراً حول إحقاق الحق.

وقد يكون الدجال ذا سلطان ترجى منفعته، ويخشى ضرره. فليحذر المؤمن من المجاملة التي تمليها الرغبة أو الرهبة.. فإياك - يا أخي - من المجاملة في هذا فإنه نفاق. إن لم تستطع أن تقول الحق فلا تقل الباطل واسكت، فذلك خير لك وأبقى.

إننا ما أُتينا إلّا من هؤلاء الذين قلَّ خوفهم من الله وضعف وازع الخير في نفوسهم، فآثروا الدنيا على الآخرة، وانطلقوا يثنون على الدجالين.

إن في الثناء على الصالحين وفي كشف زيف الدجالين إقامةً لمعاني الخير في المجتمع، وإحياء لمعالم الإسلام في حياة الفرد والأمة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

كشف الخرافات القديمة والجديدة واجب على القادرين

أيها المؤمنون!

إن المسلم الواعي مسؤول عن حماية هذا الدين من التحريفِ والتشويه والدسّ، ذلك لأنَّ كثيراً من الخرافات الزائفة القديمة السخيفة ما تزال قائمة في أذهان نفر من الناس، وكثيراً من الأباطيل الجديدة تغزو تصوّر أجيالنا لهذا الدين. والمسلم الواعي مدعو إلى الدفاع عن دينه وحمايته بكل ما يستطيع من وسيلة حتى تزهق هذه الخرافات والأباطيل.

وكل سكوت من المسلم القادر إقرارٌ للباطل وإتاحة له أن يصول ويجول، فما رفع الباطل رأسه في يوم من الأيام إلا عندما كان أهل الحق في غفلة ونوم وانشغال.

● فالتمائم، والكهانة، وتعظيم القبور، وإسناد التأثير للمقبورين فيها، ومحاولة التعرّف على الغيب من النظر في الرمل أو الكف أو النجوم خرافات ذات نفوذ على عقول كثير من السذج والمغفلين.. والدين منها براء.. لا يقرُّها ولا يهادنها.. بل إن عقيدة التوحيد التي يقوم عليها كيانه والبراء من الشرك والوثنيات.. إنّ ذلك ليفرض على أتباعه كلهم أن ينقوا عقولهم من زيف هذه الخرافات وأن ينكروها في كل زمان ومكان.

● ولا تظننَّ ـ يا أخي ـ أن عصرنا بمنأى عن الخرافة.. لا.. فلقد قامت خرافات جديدة بدأت تزاحم تلك الخرافات، وتقوم إلى جانبها حيناً، وتحتلُّ مكانها حيناً آخر. فمن ذلك إعطاء العقل البشري فوق ما يستحق، وتحميله ما لا يقوى عليه وما لا يطيقه.. ومن هذه الخرافات الثقة المطلقة





بالنظريات التي يدعونها بالنظريات العلمية، وقد تزيِّنُ هذه الثقة لكثير من المبهورين بها أن يُحِلُّوها محل التقديس.. وهي نظريات متأرجحة رجراجة كثيراً ما يبدو بطلانها بعد حين.

إنك ـ يا أخي ـ مدعوٌّ إلى محاربة الخرافات القديمة الباطلة، والخرافات الجديدة الزائفة، محاربتها عن طريق البيت والمسجد والمدرسة والموعظة والنشرة المطبوعة والمكالمة الهاتفية والقصة إن كنت قادراً على كتابتها، ووسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز.

فليكتب الكاتبون في ذلك، وليتحدث المتحدثون، وليعمل المربون والعلماء، وليؤلف المؤلفون، فإن الأمر خطير جداً.. حتى ينجوا من المسؤولية بين يدي الله. ولله الأمر من قبل ومن بعد.



الامتحانات

أيها المؤمنون!

يمر بنا في كل عام موسم الامتحانات، ونحسُّ بها طلاباً وأساتذةً وآباء وأمهاتٍ، تعج المساجد بالمذاكرين، وتمتلىء الحدائق بالدارسين، ويبقى الطلاب والطالبات ساهرين حتى يبزغ الفجر استعداداً للامتحان.

إنَّ هذا ليذكرنا بالامتحان الأكبر.. في اليوم العصيب الرهيب ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

... في ذاك اليوم الذي لا تستطيع فيه أن تكتم شيئاً من أمرك، ولا أن تخفي جريمتك مهما دقت وصغرت.. وأدلة الإدانة منك وفيك من جمسك: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] والمحاسب ـ جلّ جلاله ـ عليمٌ لطيف، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. يعلم السرَّ وأخفى...

وامتحان هؤلاء الطلبة اليوم يسير، موعده محدد معروف، وتتاح للمخفق فيه دورة ثانية، وللراسب أن يعيد الامتحان من قابل... أما ذاك الامتحان الأكبر فإنه لخطير عسير.. إنه امتحان يقرر المصير الأبدي.. الرسوبُ فيه سقوطٌ في نار جهنم إلى أبدٍ لا نهاية له.. والنجاحُ فيه فوزٌ عظيم بالجنة ينعم فيها صاحبها بالسعادة خالداً خلوداً لا نهاية له.



أفلا تسمو نفسك يا أخي إلى النجاح في ذلك الامتحان؟.

وإذا كانت أسئلة الامتحانات اليوم سراً مجهولاً، لا يعرفها المرء إلا بعد أن يكون في قاعة الامتحان، فإن أسئلة الامتحان الأكبر قد خبّرنا بها رسول الله ﷺ وأنا موردها لك لتعد الأجوبة منذ الآن، لعلك تكون من الفائزين.

السؤال الأول: ستسأل عن عمرك فيم أبليته، فانتبه إلى هذا السؤال فما أكثر الذين يفنون أعمارهم بالتافه من الأعمال والانغماس في اللذات، فاحصر على أن يكون جوابك عن هذا السؤال سبباً لنجاتك، وذلك بأن تبليه في طاعة ربك، وخدمة أمتك.

السؤال الثاني: ستسأل عن شبابك فيم أفنيته.. الشباب الذي هو ربيع العمر ووقت الإنتاج، فاغتنموا أيها الشباب شبابكم، واعلموا أنه إذا ولى فلن يعود.. فاحرص على أن يكون الجواب سبباً للنجاة.

السؤال الثالث: ستسأل عن كل قرش وريال من أين جئت به؟ وفي أي مجال أنفقته؟.

السؤال الرابع: ستسأل عن علمك ماذا عملت به؟..

هذه هي الأسئلة. فسارع إلى إعداد الجواب فلا تدري متى المنية..

لا تؤجل ولا تؤخر فقد يسبقك الوقت ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].



العافية

أيها المؤمنون!

العافية نعمة كبيرة، من أجل ذلك كانت وصية رسول الله لمن أدركته ليلةُ القدر أن يسأل الله العفو والعافية.

وهل هناك ـ في الدنيا ـ نعمة أعظم من العافية:

العافية من البلاء في الجسم والعقل، العافية من البلاء في الأهل والولد، العافية من البلاء في المال والقوت، العافية من الهم والحزن، العافية من الخوف والعجز.

يا أخي هل ذكرت هذه النعمة وعرفت لها حقها؟.

والعاقل اللبيب من عرف النعمة حالَ وجودها، فقدرها حق قدرها، وحمد الله وشكره عليها، واستعملها في طاعة الله عز وجلّ.

● اذهب مرة إلى المستشفى للعبرة، وانظر أنماط البلاء التي ابتلى الله بها عدداً من الناس وعافاك منها، واحمد الله وتبين عظم النعمة التي أنت فيها.

● وانظر بعين التأمل إلى بعض المعوزين الذين امتحنهم الله فاضطروا أن يسألوا الناس صدقاتهم. انظر إليهم واحمد الله على أن كفاك، ورزقك وأعطاك.



● ونذكر ناساً ابتلوا بفقد ولد أو والد أو زوجة صالحة أو أم فعاشوا منغصين أشقياء محزونين باكين.



● واقرأ ما تعانيه بعض البلاد من المجاعات المروعة، والقلق المفزع، والخوف المستمر، واذكر ما أكرمك الله من الإطعام والأمن والاستقرار.

ألا فاستمتع بنعمة العافية واعرف قدرها، واستعملها فيما يرضي الله عز وجل وواسِ إخوانك الذين فقدوها.

فعسى ـ إن فعلت ذلك ـ أن تُرزق العافية من النار يوم القيامة، وإن ذلك لهو الفوز العظيم.

الإنصاف

أيها المؤمنون!

إنّ طبيعة هذا الدينِ العظيمِ تدورُ حولَ الانصاف والعدالة: الانصاف حتى مع الخصوم، والعدالة حتى مع الأعداء.

فإذا رأيت ـ يا أخي ـ إنساناً مُعْتَدىً عليه، واستطعت أن ترفع هذا العدوان عنه فمن الخيانةِ لله ولرسوله وللإسلام أن تقعد عن نُصْرته.

وإذا دُعيت إلى شهادةٍ تُوصل الحقَّ إلى صاحبه فلا تكتمِ الشهادةَ ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

اعمل يا أخي على أن يشعر كلُّ من يقيم معك في هذا المجتمع بأن العدوان على الضعفاء مقضيٌّ عليه، وأنّ العدالة آخذة مجراها، وأن الحقَّ يعلو ولا يعلى عليه.

واعلم ـ يا أخي ـ أنّ ما يصيبُ جارَكَ اليومَ من الروع والألم بسبب تقاعسٍ من المتقاعسين، قد يصيبُك مثلُهُ غداً.

وتدبر ـ يا أخي ـ قول الله العلي القدير سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٣] إن مساعدة الدولة في إحقاق الحق واجب تأثم إن ضيّعته، وإن إيصال الضعيف إلى حقه من التعاون على البر والتقوى. والله ولي المتقين.



لا ثمرة إلا بعد بذل الجهد

أيها المؤمنون!

إنّ الذي يؤثر الراحة واللذة القريبة ضيق الأفق محدود النظر؛ لأن من سنن الله التي أقام الكون عليها أنّ المرء لا يجني الثمرة إلا بعد أن يقدم الجهد ولا يحصد إلا من زرع.

ليس في الدنيا شيء بلا سبب، ولا نتيجة بلا مقدمة؛ فالسعة في الرزق والنمو في المال والاتساع في التجارة، والنجاح في الامتحان، يحتاج ذلك كله إلى جد واجتهاد وتخطيط وعمل، وكذلك المغفرة من الله والفوز بالجنة والرضوان. وما أجمل هذه الحكمة:

(لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون).

أما الذي يريد أن تأتيه أمانيه إليه دون سعي، وأن ينال ما يحبُّ وهو مستريح فهذا هو العاجز، نعم إن العاجز من تمنى على الله الأماني دون أن يقدم العمل. روي عن رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» وهو حديث ضعيف، ومعناه صحيح رائع.

فَجِدَّ يا أخي واجتهد واعلم أن الراحة مع التعب، والفوز مع الدأب ورحم الله أبا تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها   تنال إلا على جسر من التعب





الورع

أيها المؤمنون!

الورع وقاية من الحرام..

إنَّ محقرات الذنوب والشبهات تقود إلى الكبائر المغلظة، والصغائر إذا اجتمعت في تصرفات إنسان ألقت به بعيداً عن الالتزام بشرع الله.

والشيطان وأعوانه من الجن والإنس يأتون الناس بالأمور الهينة حتى يوقعوهم في شَرك المعاصي.. وقد جاء في الحديث:

«إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم».

وهناك في الحديث الصحيح تشبيه رائع يصور ترك الورع سبباً للوقوع في الحرام يقول ﷺ: «إن الحلال بيّن. وإن الحرام بيّن. وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه» متفق عليه.

وهناك حديث يدل الناس على كيفية الورع يقول ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس» رواه الترمذي.



هـذا الورع المطلوب، أما الورع البارد فإنه صفة ـ غالباً ـ للمغفلين والمرائين.

ما أشدَّ ما يضايقني من بعض الناس ورعهم البارد، وتظاهرهم الكاذب بالالتزام، تدفع الغفلة بعضهم إليهم، ويبديه بعضهم ليخدعوا به الناس عندما يظهرون أمامهم متمسكين بأحكام الدين لا يخرجون عن مندوباته وأوامره اليسيرة.

حدثني صديق قال: كنتُ أتكلم في مسجد عن تطاول طاغية عدو للإسلام، ظالم للمسلمين، مستهين بالدين، متجاوز لحدود الشرع، فإذا أحد المغفلين يأتي إليّ على انفراد ويحاول إقناعي بأن قولي هذا غيبة لا تجوز، وهو يذهب إلى أن فضح الحكام المحاربين لله ورسوله معصية، أما سكوته هو وأمثاله عن ذلك فورع وتقوى.

وترى بعضهم يرتكب الموبقات المجمع على تحريمها، ويتورع أمام الناس عن أمور مختلف فيها.

وقال لي الصديق: أعرف رجلاً جاهلاً لقب نفسه بالشيخ، وهو مخرف منحرف يعمل بالجاسوسية على الصالحين للظلمة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، ويستبيح ذلك.. ولكنه يتورع عن أن يأخذ أحد له صورة.

ومثل هؤلاء كمثل من يسهم في قتل رجل صالح ثم يسأل عن دم البرغوث: هل يصلح أن يصلي المرء في ثوب تلوث به؟!.

اليوم الآخر

أيها المؤمنون!

للدنيا نهاية...

وبعد هذه الحياة الدنيا حياة آخرة... وهناك يكون العدل المطلق، والحساب الدقيق، الذي لا يدع صغيرة مهما دقت حتى يوفاها صاحبها إن خيراً فخير وأن شراً فشر.

ولو أنك - يا أخي المسلم - سَرَّحْتَ نَظَرَكَ في كتاب الله الخالد لوجدت في هذا الكتاب المعجز حديثاً عن ذاك اليوم الرهيب عجباً..

يكاد القرآن يذكرك به في كل سورة، وقد تجد في السورة الواحدة تذكيراً به أكثر من مرة.. ما كان ذلك إلا لحكمة بالغة،

نعيم مقيم في جانب تحت الظلال الندية، والنفحات القدسية.

وعذاب أبدي سرمدي في جانب تخيم عليه سحب الدخان الأسود، والعذاب الأشد الأنكد.

فاذكر الحياة الآخرة في يومك يا أخي واذكر مقدماتها...

فاذكر حساب القبر.. وسؤال الملكين.. والصراط.. والحساب الدقيق ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وما أشدَّ الخيبة في ذاك الموقف.. إنها خيبة لا نهاية لسوئها،



تصورها الآيات الآتية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

لنذكر ذاك اليوم.. ولنعمل له فعسى أن نكون من المفلحين.

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٢١ - ٣٦].

سيرة النبي

أيها المؤمنون!

● إنَّ الاهتمام بسيرة نبينا العظيم، وحبيب قلوبنا، وقرة عيوننا، سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ أمرٌ لازمٌ للإيمان الصادق، وثمرةٌ متعينةٌ للفهم العميق للقرآن.

● فالإيمان الصادق بنبوة سيدنا محمد ﷺ يستتبع معرفة حياته الشريفة، والوقوف على أحواله الكريمة المتعددة: المعاشية والاجتماعية والأسرية..

● ولقد تحدَّث القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً ممتعاً شائقاً متعدد الجوانب، زاد المؤمن حُبّاً بهذا النبي حتّى غدا ـ بأبي هو وأمي ـ الحبيب الذي تتعلق به القلوب، والقدوة الحسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

تحدّث القرآن عن الرسول الإنسان، الأمي، اليتيم، العائل، فآواه الله وعلمه وأغناه.

وتحدث القرآن عن الرسول البشر الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وهو معرّض للقتل والموت: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران:



١٤٤] ولا يقوى على تحقيق المعجزات إلا بتأييد من الله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٤].

● وتحدث القرآن عن الرسول الداعية، وصوّر حرصه على أن يكون الناس مؤمنين وحزنه لإعراضهم: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ [الأنعام: ٣٥]. أي فافعل.

وفي موضع آخر من كتاب الله نقرأ عتاباً شديد اللهجة من الله لرسوله الداعية لأنه اجتهد في تبليغ الدعوة لنفرٍ رجا منهم الاستجابة وتلهى عن الأعمى الذي جاءه يسعى راغباً في الهداية.

● وتحدث القرآن عن الرسول المجاهد.. عن مواقفه وغزواته وحاله مع أصحابه في تلك الغزوات.. وإنه لحديث مليء بالعظات القيمة التي لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن ينساها بحال من الأحوال.. عن بدر وأحد والخندق وحُنَيْن وفتح مكة... إلى جوانب أخرى تحدث عنها القرآن من سيرته صلى الله عليه وسلم.

● ومن هنا كان اهتمام المسلم بالسيرة أمراً لازماً للإيمان، وثمرة لفهم الكتاب الكريم.



ابن تيمية المجاهد

أيها المؤمنون!

عاش ـ رحمه الله ـ عالماً عاملاً، وبطلاً مجاهداً، ومات بطلاً مجاهداً، لم يكن قعيد مسجد، ولا جِلْسَ بيت، ولم يكن ـ كغيره من العلماء ـ ملازماً للصحف والأسفار... وإنما كان إلى جانب تبحره في العلم، وتأليفه العديد من المجلدات، خواضاً للمعارك، يتقدم الصفوف ضارباً بالسيف وطاعناً بالرمح، يجاهد في سبيل الله ويحرض الناس على القتال. كما نقرأ ذلك في معركة شقحب[1].

.. إنه شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً.. لقد كان قمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للأمة، يقول الحقّ لا يخشى فيه لومة لائم.

نستنبط من حياة هذا البطل الهمام، والإمام المقدام، درساً عظيماً في أنَّ علينا الوقوف مدافعين عمّا نعتقد أنّه حقٌّ مهما كانت التضحيات.

كان يقول:

«ما يصنعُ أعدائي بي؟ أنا جنتي في قلبي، وبستاني في صدري، أين رحتُ فهي معي لا تفارقني..

(١) انظر رسالتنا التي كتبناها عن هذه المعركة بعنوان: "معركة شقحب" نشر المكتب الإسلامي بيروت.





أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

ليكن لك ـ يا أخي ـ في هذا النمط من الرجال الكبار أسـوة، فمر المعروف وَانْهَ عن المنكر. واصبر على ما أصابك، وقل الحق موقناً أنّ أهل الأرض لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

وما عند الله خيرٌ وأبقى، والعاقبة للتقوى.



الاهتمام بأمور المسلمين

أيها المؤمنون!

يقول ﷺ فيما يرويه النعمان عن بشير رضي الله عنهما:

«مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» متفق عليه.

فعليكم يا أيها الأبرار أن تُحِسُّوا بآلام إخوانكم المسلمين أينما كانوا وحيثما حلّوا.. لا بد من أن يهمكم ما يهمهم.. وذلك حسب الطاقة؛ لأن المبدأ الإسلامي العام يقرر أنّ الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً» متفق عليه.

فاعملوا على ما يسعدهم ويجنبهم المخاطر ويحقق آمالهم، وابذلوا من أجل ذلك ما تستطيعون من جهد ومال.

إن للمسلمين قضايا كبرى فعليكم أن تهتموا بها اهتماماً بالغاً، وأن تسهموا في توعية إخوانكم ومن حولكم بكل ما يتصل بهذه القضايا ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً.

إنَّ واقع المسلمين اليوم ينادي الغُيُرَ الصادقين لمعالجته وإصلاحه والنهوض به.

والمرحلة الراهنة التي تجتازها أمتنا من أشدّ المراحل خطورة وحرجاً،





ومن أعظمها أثـراً على أجيالنـا المقبلة، فلا يجـوز أن نقف منها مـوقف المتفرج.

الأمر جدٌّ لا هزل فيه، وخطير له ما بعـده، وهو متعلق بمستقبلنا، وستعود آثاره علينا، وعلى ذريتنا، وعلى من يأتي بعدهم.



لكنها لا تتركه

أيهـا المـؤمنـون!

قيل لابن عمر رضي الله عنهما: تَرَكَ فلانٌ مِائةَ ألف.

فقال رضي الله عنه: لكنّها لا تتركه.

ما أعمق هذه اللفتة، وما أصدق هذا التوجيه!!.

إي والله إنها لا تتركه... إنها تلاحقه بين يدي الله.. إنها تمسكه من تلابيبه في يوم الفزع الأكبر!.

سيسأل عن هذه المائة ألف كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

«لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره: فيم أفناه؟ وعن شبابه: فيم أبلاه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه: ماذا عمل به؟».

فإن كان صاحبها لم يؤدّ حق الله فيها كان له العذاب الأليم بسببها:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

يـا أخـــي!

إن المال الذي بين يديك منحة من الله ونعمة، أوجب عليك سبحانه



أن تؤدي حقه، وجعل للمحروم الفقير نصيباً منه، فاحرص على ألَّا تكسبه إلا من حلال، واحذر أن تكنزه فتمنعه أصحابه وذويه، والمال عرض زائل، وثواب الله باق ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه

أيها المؤمنون!

يا أخي لا تستصغر ذنباً مهما هان في نظرك، ولا تنظر إلى هوان الذنب، وانظر إلى جلال من تعصي.

هل يليق بك أن تقدم على مخالفة خالقك الذي تتقلب في نعمه وتأكل من رزقه، وتحاط بِعِنَايتِهِ ورِعَايَتِهِ، وهو سبحانه مطلع عليك، يعلم ما توسوس به نفسك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟.

ألا فلتكن عندك حساسية مرهفة نحو الذنوب والمعاصي.

واعلم أن استصغار الذنب من أعظم الآثام، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشيطان يئس أن يطيعه سواد المسلمين في أكبر الكبائر، ولكنه يقنع بأن يطاع في محقرات الذنوب يقول صلى الله عليه وسلم:

«إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم».

إن معظم النار من مستصغر الشرر، وإن الانحراف الكبير في السلوك يبدأ في التهاون في معصية صغيرة.

فأكبر اللصوص بدؤوا سرقاتهم بشيء يسير. وأشد المدمنين بدؤوا مسلكهم المشين بكأس. ورحم الله علي بن أبي طالب الذي كان يقول:

«إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه».





من مكر اليهود والنصارى

أيها المـؤمنـون!

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١].

ويقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقد قابلوا دعوة الإسلام منذ ظهورها بالحرب والكيد، فلما أظهر الله دينه، ونصر عبده، سلكوا مسلك المكر..

مكروا بالمسلمين في عهد النبي والصحابة.. واستمروا في مكرهم إلى يومنا هذا.

ألم يأتكم نبأ الحروب الصليبية التي استمرت قرنين من الزمان..؟ ثم حرضوا التتار على غزو بلاد المسلمين.. ثم كانت العصور الحديثة، فكادوا لدولة الخلافة وقضوا عليها.. واستعمروا بلادنا. وتعاونوا على إقامة دولة لليهود في فلسطين. وأودُّ أن أشير إلى بعض مظاهر هذا المكر القائم على التخطيط والحقد الدفين.

فهم في البلاد التي يكونون فيها أقلية يحرصون على الاستيلاء على الوظائف التي تفيد ملتهم، ويؤثرون الوظائف التي لا تلفت الأنظار، وقد تكون كبيرة مهمة، وقد تكون صغيرة مهمة.



فمن الوظائف الكبيرة المهمة أمين عام رئاسة الجمهورية، وأمين عام رئاسة الوزراء، ومستشار رئيس الدولة، ووكيل وزارة من الوزارات المهمة، وضابط في الجيش، وأستاذ في الجامعة، وصاحب جريدة أو مجلَّة... ونحو ذلك، ومعظم هذه الوظائف يكون من يحتلُّها باقياً في عمله.. فالوزير يتغير أما وكيل الوزارة فهو باق.

ومن الوظائف الصغيرة المهمة محرر في جريدة أو مخبر فيها، وكاتب آلة عند وزير أو رئيس، وحاجب عند مسؤول.. ونحو ذلك.

وهم بهذا يعرفون أسرار الدولة والشركات، ويرفعون ذلك إلى قساوستهم.

فهل يستيقظ المسلمون إنَّ على المسلمين أن يعاملوهم وفق تعاليم دينهم، وألا يأمنوا مكرهم. وفي أخبار الخليفة العبقري عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصص رائعة تدل على العدل والحذر، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه.



لا يحرر فلسطين إلاّ جند محمد

أيها المـؤمنـون!

يتعاظم كيد اليهود في هذه الحقبة، فلقد استولوا على قسم كبير من فلسطين من نحو ثلاث وأربعين سنة، ثم استولوا على فلسطين كلها من نحو أربع وعشرين عاماً.

والمسلمون على ما هم عليـه، ثم بعد احتـلالهم أحرقـوا المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله..

إنها لطمات متوالية كان ينبغي أن يصحو المسلمون لها مهما كانوا مستغرقين في النوم، ولكنهم على حالهم مستقرون.

هل هناك في ربوع الدنيا كلها مكانٌ أقدس من الحرمين والمسجد الأقصى؟.

المسجد الأقصى الذي تتعلق به أفئدة المسلمين لأنه قبلتهم الأولى ومسرى نبيهم محمد ﷺ وثالث الحرمين الشريفين.

ومع ذلك فقد احتل اليهود الأرض المباركة، وأحرقوا المسجد الأقصى، ليقيموا في موضعه هيكل سليمان.. وليزيلوا - في زعمهم - الارتباط الوثيق بين المسلمين وفلسطين.

وتتابع التنكيل والبطش.. وينادي بعضهم بالاعتراف بالأمر الواقع..

يا لها من كارثة يصدق فيها قول القائل:

لمثل هذا يـذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمـان




إنَّ ذلك كله نُذُرٌ تهدد كيانكم يا أيها المؤمنون. ألا فانفضوا عنكم غبار النوم والغفلة، وألقوا عنكم دثار الكسل والتواكل، واهجروا الانحراف إلى غير رجعة، واستمسكوا بحبل الله، واعلموا أن هذا المصاب بما كسبت أيدينا ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠].

فلنتب إلى الله.. ولندعْ دعوات الجاهلية التي كانت تملأ أجواء المعركة مع اليهود، وما زال ضجيجها يصك الأسماع.. لنمقت هذه الدعوات.. ولنحذر أبناءنا من شرورها.. إنها فتنة.

إنه لا ينقذنا من مكر اليهود والنصارى إلا الرجوع إلى الله، ولا ينقذ مسرى محمد إلا الإسلام، ولا يحرر فلسطين إلا جنده الميامين.

﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].



أنصاف المعارك.. والمؤمنون

أيها المؤمنون!

إنها معركة بين الحق والباطل.. معركة أبدية منذ أن كان في الأرض بشر.

معركة بين الشرك والتوحيد.. معركة بين عباد الرحمٰن وعباد الطاغوت.

معركة بين الشهوة العارمة والإرادة الصارمة.

معركة بين الجاهلية والإسلام.

إنها معركة مستمرة.. في أهدافها وحقيقتها ودوافعها.

قد تتبدل الميادين.. ولكنها هي المعركة:

قد تتبدل الشعارات، وقد تتبدل الأسلحة، وقد يتبدل الجند.. ولكنها هي المعركة ذاتها.

اعلموا - يا أيها الأحبة - أن المؤمنين بعقيدتهم لا يستطيعون أن يخوضوها على أساس أنصاف المعارك. ولو فعلوا لكانوا من الخاسرين.

إنها معركة لا يمكن أن تتجزأ؛ لأنها متصلة بالعقيدة، ولن يكون أبداً إلا كفر وإيمان، شرك وتوحيد، جاهلية وإسلام.

وإن التنازل قيد شعرة عن موقف الإيمان يخرج المرء من دائرة أصحاب العقيدة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ



﴿ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

وقد كتب الله النصر للصابرين المؤمنين الصادقين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: 47] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحج: 40] ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ (171) إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: 170 - 172].

فاحذروا يا جند الله من أن تستعيروا من محترفي السياسة أساليبهم الملتوية، إن الذي لا يتبنى فكرة ولا يصدر عن عقيدة قد يكسب شيئاً من الكسب المؤقت لو سلك سبيل أنصاف الحلول.

أما صاحب العقيدة عندما يتنازل لعدوه في العقيدة، ويرضى بنصف الحل، فإنما يكون قد خرج عن دائرة الإيمان.

وما أروع هذا التوجيه السماوي الذي أدب الله به رسوله ﷺ فقال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: 49].



إنّ مع العسر يسرا

أيها المؤمنون!

تأمل يا أخي في كون الله.. وتدبّر سُنَنَهُ المحكمة تجدْ أنّ مشيئته سبحانه قضت أن يكون مع العسر يسر، وأن ينفجر من وسط الكرب فرج.

انظر يا أخي إلى الظلام الدامس الذي يغطي بطيلسانه الأسود القاتم أرجاء الوجود وجوانب الأفق، إنّ الظلام إذا احلولكت ظلمته انبثق من ثناياه الفجر المشرق الوضاء الذي يمسح بلسانه كل حنادس الظلام.

انظر يا أخي إلى النهار الذي تهرمه الساعات فيشرف على الموت كيف يدور الزمان ليلة فلا يلبث أن يطلع علينا فتياً قوياً شاباً كما قال الصلتان العبدي:

إذا ليلة هرمت يومها ... أتى بعد ذلك يوم فتي

وانظر يا أخي: إذا ثقلت الحامل، وضاقت بجنينها جاءت ساعة المخاض وكان الخلاص، وإذا زاد الألم العنيف بالمرء، وناء باجتماله، اعترته غيبوبة تخفف عنه مقاساة الألم وعناء الشعور به.. ثم إما أن يؤول إلى شفاء أو إلى موت يريحه ولو بعد حين.

وهكذا فـ:

الدهر لا يبقى على حالاته ... لا الشهد دام ولا يدوم الحنظل

إن في هذه الحقيقة درساً للأبرار إن الآية تقرر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].



أيهـا الأبـــرار!

ليملأ الأمل نفوسكم مهما توعرت مسالك الطريق، وأُفْعِمَتْ بالمصاعب وأترعت بالمتاعب.

كلما استعلت الرذيلة في المجتمع أضحى الأمل بالإصلاح أشد والحاجة إليه أدعى.

أيها الإخوة المؤمنون كلما رأيتم رايات الجاهلية تخفق على أصقاع من المعمورة فضاعفوا جهودكم واصدقوا في دعوتكم واطمئنوا أن الأوان قد آن لتعود الأمور سيرتها الأولى، فما عليكم إلا أن تستمروا في الدعوة إلى الله والصبر والاستقامة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨].

الأمل والعزة دعامتا نهضتنا المقبلة

أيها المؤمنون!

يعيش المسلمون في هذا العصر وسط حضارة غازية، يبهر ضياؤها كثيراً من الناس، وقد ينتهي بهم إلى الإعجاب الذي يُثَبِّطُ العزم، ويُوهن القوة، ويَرْضى بالضعف، وقد يتجاوز ذلك إلى الرضى بالمهانة.

ونحن اليوم أمة تحاول أن تنهض على قدميها، تحاول أن تستيقظ من ذاك النوم الطويل، وأن تستأنف تلك الحياة الكريمة الطيبة التي كان يحياها أسلافنا، وأن تسترد هاتيك المكانة المرموقة التي كانت لها في يوم من الأيام، ولن يكون ذلك إلاّ بدعامتين:

أولاهما: الأمل المشرق الباسم الذي يتخطى العقبات، ويثق بالمستقبل الزاهر، ويدفع إلى العمل الجادّ، وقد رعى الإسلام ذلك فحرَّم اليأس، وجعله من صفات الكافرين: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وثانيهما: العزة التي تملأ نفس الإنسان ثقة وقوة ومضاء، وقد حرص الإسلام على أن يغرزها في نفسه مهما ادلهمَّت الخطوب في حياته. ليكون هذا الشعار: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] محققاً في كل حين. إن المسلم هو العزيز ولو كان منهزماً في معركة، واقرأ قوله تعالى الذي نزل غداة الهزيمة يوم أُحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].



المستقبل للإسلام

أيها المؤمنون!

تقوم بين الحين والحين أدلة جديدة على عظمة هذا الدين الذي أكرمكم الله به، وعلى أنه من عند الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقد شغل موضوعُ دلائل النبوة أسلافنا، فألفوا فيه المؤلفات الكثيرة، والتأملُ العميقُ في حقائق هذا الدين تُمِدُّ المرء بالكثير من الدلائل الجديدة.

لقد استطاع هذا الدين أن يثبت صلاحيته للحياة، وقدرته على حلّ معضلات الإنسان، وقدم البرهان الساطع على ذلك عندما أُتيح له أن يطبق في دنيا الواقع، فكانت تلك الحقبة حقبةً فاضلة من عمر الإنسانية، تحققت فيها العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، وارتفعت فيها المثل العليا منارة تضيء للأجيال المقبلة طريق الخير والمجد والسعادة والنجاة في دار الخلود.

فاحمدوا الله على هذه النعمة العظمى أن هداكم للإيمان ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧] وخذوا أنفسكم بالعزم على العمل بأحكام هذا الشرع.





إن واقع الأمم الأخرى المعاصرة التي تقيم مجتمعها ودولتها على أسس جاهلية. إنَّ هذا الواقع ليشهد لدينكم بالسموِّ والكمال، إذْ تضطرُّ هذه الأممُ أن تتخلى عن بعض ما جاء في تشريعها ونظامها، وتقرِّر في قوانينها ما جاء به الإسلام:

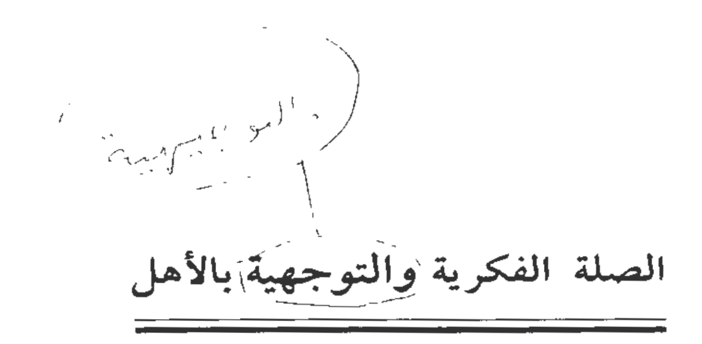
● من ذلك حكم الطلاق، الذي تحرِّمه الديانة النصرانية، ولكنَّ الدول النصرانية كلها اضطرت إلى الأخذ به.

● ومن ذلك إباحة الملكية الشخصية، التي تمنعها الشيوعية، ولكنَّ روسيا وأكثر الدول التي كانت شيوعية، تخلّت عن تلك المبادىء الهدامة التي أدّى تطبيقها إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية والخلقية والسياسية.

● ومن ذلك الربا، الذي يقوم عليه الاقتصاد الغربيُّ الرأسماليُّ، وها نحن أولاء نسمع شهادات كبار الاقتصاديين الأوروبيين التي تقرر أن سبب فساد الأوضاع الاقتصادية في العالم هو الربا.

● وغير ذلك كثير. فَلْنَعْتَـزَّ بالإسلام، ولنعمل به، وَلْنَدْعُ له، ولنعلم أنَّ المستقبل للإسلام. والله غالب على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.





الصلة الفكرية والتوجهية بالأهل

أيها المؤمنون!

الإنسان يتأثَّر بالوسط الذي يكون فيه. وهذا التأثر يتفاوت من إنسان لآخر.. ولكنه قائم أبداً، هذه حقيقة اجتماعية ملموسة، فلئن كان ذلك كذلك، وكنتَ عازماً أنّ وسطنا الإسلامي لم يعد ذاك الوسط الصافي، الذي لا شائبة فيه، إن من الجدير بك أن ترعى من هم في ذمتك وتحت رعايتك من زوجة وأولاد.

إنك يا أخي تعرف أشياء كثيرة عن الإسلام مهما كانت ثقافتك، فمن الواجب عليك أن تكون لك صلة فكرية توجيهية بأهلك وأولادك.

خصص لهم ساعة من الأسبوع.. أو دقائق في اليوم.. تذكرهم خلالها بالمعاني الإسلامية، ولا يزهدنك في هذا الصنيع أنهم يعرفونها، فالذكرى تنفع المؤمنين.

وسماع الأولاد لكلمة الحق ممن هو قدوة لهم يؤثر تأثيراً كبيراً في نفوسهم، ويبعد عنهم الانحراف، ويجعلهم قرة عين لك ولمجتمعك وللإسلام.

ومن الأمور النافعة في التوجيه أن تكون مادة الجلسة معتمدة على سيرة النبي ﷺ تُعْرَضُ عليهم بأسلوب مبسط وبلغة يفهمونها، وتُثِيرُ معهم حواراً حول أحداثها.

إنّ في ذلك فائدة محققة لك ولأهلك وأولادك. ولا ينبئك مثل خبير.



لا يكن أحدكم إمَّعة

أيها المؤمنون!

لا يكن أحدكم إمعة، يرضى لنفسه أن يسير كما يسير أفراد القطيع.

إن الخطوة التي ترقى بالمرء ليكون رجلًا كبيراً في المجتمع والحياة هي الثقة بالله.. ثم الثقة بنفسه.

والمجتمع الذي يضمّ أناساً لا ثقة لهم بأنفسهم ولا بدينهم مجتمع يُدمِّرُ ذاته ويقوّض كيانه.

إن الذي يلغي ذاته وتفكيره شخصٌ لا خير فيه، ولا وزن له في الحياة، ولا يرتفع به رأس في مجتمع، ولا تعتزُّ به أمَّة من أمم الأرض.

ومن هنا دعا الإسلام إلى أن يثق بنفسه وفكره، وأن يلتزم الاحتكام إلى مقاييس يحتكم إليها في أمور حياته، وسخر من قوم يتبعون دون أن يفكروا أو ينظروا ويناقشوا، وأنكر عليهم صنيعهم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يكن أحدكم إمَّعة. يقول أنا مع الناس. إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت. ولكن وَطِّنوا أنفسكم على أن تحسنوا إذا أساء الناس».





إنَّ المسلم له شخصيته، وله رأيه، وهو في الوقت ذاته رجّاع إلى الحق، لا يصر على الخطأ إن بُصِّرَ به، ولا يركب رأسه معانداً للآخرين إن تبين له الحق.



الأكثرية

أيهـا المـؤمنـون!

الحق عند المسلمين ما جاء في الكتاب والسنة الثابتة، ولا وزن لقول يخالف ما جاء فيها، ولو كان قائلوه أكثر أهل الأرض. وهذا ما كان، فلقد كان الشرك يعمّ الدنيا عندما بعث الله محمداً ﷺ يدعو الناس إلى التوحيد.

إن الحق والباطل لا يرتبطان بالأكثرية، فليس القولُ الذي يحمله الجم الغفير حقاً دائماً، وليس القولُ الذي يحمله عدد قليل باطلاً دائماً.

هذه حقيقة بينة، ما أظن أنها تخفى على عاقل سواء أكان مسلماً أم كافراً.

لو أننا نظرنا إلى عدد الجهال وعدد العلماء لوجدنا الجهال أكثر.

لو نظرنا إلى عدد السفهاء وعدد الفضلاء لوجدنا السفهاء أكثر.

ولو نظرنا إلى عدد الفقراء وعدد الأغنياء لوجدنا الفقراء أكثر.

ولو نظرنا إلى عدد الأغبياء وعدد النوابغ والأذكياء لوجدنا عدد الأغبياء أكثر.

ولو نظرنا إلى عدد الجميلات من النساء وعدد القبيحات لوجدنا القبيحات أكثر.

فهل يوجد عاقل ينادي بأن الجهل خير من العلم، والسفاهة أفضل



من الحلم، والفقر أحسن من الغنى، والغباء والتخلف خير من الذكاء والنبوغ، وأن القبح أفضل من الجمال؟.

إذا اختلف العلماء في مسألة، وكثيراً ما يختلفون، فليس الحق دائماً مع الأكثر، ولا يكون العدد سبيلاً إلى ترجيح رأي على رأي إلا عند كليل الذهن، ضعيف العلم. فكم من رأي قلَّ حاملوه من العلماء وهو الرأي الصواب الذي يؤيده النظر السديد والفكر والتأمل.

ومن هنا كان تحكيم المقاييس واستعمال العقل وَفْقَ هذه المقاييس هو الضمان في الوصول إلى الحق. والمقاييس عندنا محصورة بالوحي الذي جاء في الكتاب والسنة.

أما الديمقراطية التي تجعل الوزن للأكثرية من الناس فهي انحراف عن الحق قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

اللغة العربية

أيها المؤمنون!

اللغة العربية لغة القرآن، ولها مكانة سامية في الدين، ولا يمكن معرفة حقيقة الدين وأحكامه إلا بمعرفتها، وهي لغة شريفة راقية. وهي اللغة الوحيدة التي ما زالت تستعمل كما كانت تستعمل قبل خمسة عشر قرناً.

ولارتباطها بالدين ذاك الارتباط الوثيق يكاد لها وتهاجم أشدَّ المهاجمة، وأنا لا أعرف لغة تحارب غير هذه اللغة، بل إننا لنرى العلماء يحاولون معرفة اللغات الميتة التي لا يتلكم بها أحد والتي توجد نقوش بها في بعض الآثار.

ومن هذا الكيد تعليم أبناء العرب العلوم التجريبية باللغة الأجنبية.

واللغة العربية لغة صالحة لتدوين العلوم التجريبية، وهناك حجج كثيرة أكتفي بإيراد حجتين:

١ ــ من الناحية التاريخية والعملية لدينا تجربتان: تجربة قديمة وتجربة حديثة، أثبتت فيهما هذه اللغة الشريفة أصالتها وقدرتها على استيعاب المادة التي تريد التحدث عنها.

● فلم تضق في الماضي عن المنطق والفلسفة والرياضيات والطب والكيمياء والجغرافيا وغير ذلك من جوانب المعرفة وفنونها.

● ولم تضق في الحاضر عن الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء



والأحياء وسائر العلوم التجريبية، إذ تدرس هذه العلوم منذ سبعين سنة في بلاد الشام باللغة العربية. وقد ساعد على أن تعبر اللغة في هذه المجالات التعبير الوافي الكافي قيامُ المجمع العلمي في دمشق وقيام الجامعة السورية، وقد نبغ رجالات أفذاذ من أساتذتها كانوا على جانب عال في اختصاصهم وعلى تبحر في اللغة العربية وتمكن منها، فاستطاعوا أن يستنبطوا من بطون كتب اللغة ما يمكن أن يدل على المعارف العلمية، وأن يقترحوا بعض المصطلحات العربية.

٢ ـ غنى اللغة العربية: ففي هذه اللغة ألفاظ عربية قديمة موجودة في بطون المعجمات تدل على المصطلحات الحديثة كالكلمات الآتية: الشقيقة، والصداع، والمسعط لما يصب به الدواء في الأنف، والدسلم لما يسد به الجرح من نحو الفتيلة، وهناك ألفاظ كثيرة مشابهة في كتب اللغة، ولا تحتاج إلا إلى التنقيب. وكذلك ففي اللغة العربية باب الاشتقاق وهو مما اختصت به هذه اللغة، فتستطيع من كلمة واحدة أن تشتق ما يزيد على مائة كلمة، وكذلك المجاز والمصدر الصناعي والنحت والنقل وغير ذلك من طرائق اللغة.

فاحرصوا يا أيها المؤمنون على هذه اللغة، وأحيوها بالاستعمال والتأليف والتعليم، وإن تعجب فعجب أن العلوم في البلاد الأخرى تدرس بالتركية واليابانية والصينية والعبرية، وكل هذه اللغات لا تقرن باللغة العربية من حيث الغنى والدقة المنطقية والشمول.



خطر الشعارات الجوفاء

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٣ هـ
٢ أيار سنة ١٩٧٣ م

أيها المؤمنون!

يقرع سمع المواطن العاديّ الفينة بعد الفينة شعارات تداعب أمله وترضي رغبته، وتخدعه ببريقها، وحلاوة جرسها ووقعها، ولكنّه لا يلبث أن يصاب بخيبة أمل عندما يتبيّن له أن هذه الشعارات جوفاء، وأنها تخلت عن مضمونها، وأنه لم يقصد بها إلا استدرار التأييد واستجلاب الرضى.

وقد استبدّ هذا الأمر ببعض النفوس فحطمها، وفقدت الثقة نهائياً بالعاملين والمنادين بالشعارات وبالخلق أجمعين، واستكانت إلى اليأس الذي أتى على كل معاني البطولة والصمود والتفاني، فالتفتت إلى مصالحها الشخصية، وملذاتها الذاتية، تعبُّ منها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

والإنسان يكون فاضلاً بوجود بعض هذا المعاني فيه، فإذا اضمحلت ذهب وانتهى.

ومن هنا تبدو جريمة هؤلاء المجرمين الذين يسيئون إلى المعاني الخيرة والأفكار الصالحة، ثم يسيئون بعد ذلك إلى الأمة بالقضاء على عناصرها، وإماتة الأمل والرجولة والمثل في نفوسهم وتحويلهم إلى حشرات لاصقة بمصالحها ولذاتها لا تتجاوز ذلك أبداً.

إن الدعاة إلى الله مطالبون أن يراعوا مثل هذا الوضع الخطير الرهيب



الذي يغتال أفراد أمتهم، ويشوه كل هاتيك المعاني السامية الكريمة التي لا حياة للأمة إن لم تكن نفوس أبنائها ممتلئة بها.

إن كشف قصد الدجالين والمخربين وبيان عوار المغفلين المخدوعين والتفريق بين المنادي والنداء مهمة صعبة عسيرة، ولكنها واجبة على القادرين ومطلوبة منهم، وإنها لمسؤولية، والتفريط فيها إثم كبير.

لنطالع على الرغم من الصوارف والعقبات

أيها المؤمنون!

إن العلم مذاكرة ومتابعة.. إنه كائن حيّ لا تستمر حياته إلا بغذاء متجدد، وما غذاؤه إلا المذاكرة الدائمة، والمطالعة اليومية والبحث المتواصل.

وإذا توقف طالب العلم عن المذاكرة أساء إلى نفسه وضيَّع ما حفظ وانضوى باختياره تحت لواء الجاهلين. ولا يجوز لعامل مهما كان طاغياً أن يحول بين طالب العلم وبين المطالعة، ذلك لأن الصوارف هذه الأيام كثيرة متعددة.

منها كثرة الوسائل الترفيهية الممتعة التي تملأ وقت المرء وفراغه من أمثال السينما والمسرح والمقاهي والتلفزيون والإذاعة والملاهي ونوادي القمار ومباريات السباق والرياضة والألعاب.. وما إلى ذلك.

ومنها انتشار الصحف والمجلات.

ومنها تعقد الحياة الاجتماعية، وزيادة المطالب اليومية والحيوية، ونشوء الأحزاب والهيئات الاجتماعية، وذلك كله يمتص كل ذرة من الوقت.

ومنها وجود الشهادات العلمية التي تجيز حَمَلَتَها أن ينسوا معلوماتهم.

ومنها السرعة التي تطبع العصر.

ومنها الأثرة والنفعية الخانقة التي تسيطر على معظم الأفراد.

إن على طالب العلم أن يكيف نفسه حسب الظروف التي يعيش فيها. وليحذر المتعة والمسايرة.. وليترفع عن مستوى الناس العاديين.. وليعلم أن العلم سبيل الفلاح والنجاة.



الاختصاص.. والمبالغة فيه

أيها المؤمنون!

إنَّ الاختصاص في فرع من فروع العلم والثقافة سمة العصر ومزيته، وهو أمرٌ جيد دون شك، ومفيد بلا ريب؛ لأن المتخصص يستطيع أن ينتج أضعاف ما ينتج غيره... ولكن المبالغة فيه تفضي إلى سطحية وجهالة وسخف. ولنوضح ذلك ببعض الأمثلة:

إذا اختصَّ امرؤ بالأدب الجاهليّ، وذهبت به المبالغة في التخصص إلى أن يأبى أن يطَّلع على آداب العصور الأخرى، وألَّا يقرأ شيئاً في البلاغة والنحو وعلوم العربية، ولا يطالع قصة أو رواية حديثة، هذا فضلاً عن عزوفه عن فروع المعرفة العلمية الأخرى من فقه وتفسير وحديث وفلسفة وطب واجتماع وعلوم تجريبية.. كان محدود الأفق بعيداً عن عصره، لا يستطيع أن يقوم بما أوجب الله عليه. وكذلك شأن المختصين بالعلوم الأخرى.

هناك قدر من المعرفة لا بُدّ للمثقف المسلم من أن يلم بها، فلا بد له من أن يعرف عقيدته، والأحكام التي تصح بها عبادته ومعاملته للآخرين، وأن يعرف الأفكار السائدة في عصره، والأوضاع السياسية التي تقوم في زمانه.

إنَّ على طالب العلم المتخصص أن يجعل جزءاً من وقته يستدرك فيه ما ينقصه من الثقافة العامة، ليكون مشاركاً مشاركة جيدة في قضايا الفكر والمجتمع والسياسة في بلده.





إنَّ عليه أن يستفيد من وقته، وأن يضع خطة محكمة يستزيد بها من النمو في تخصصه والعلوم الأخرى.

إن فهم الاختصاص بشكل مشوّه يسيء إلى العلم وإلى صاحبه، ذلك لأن شعب الفكر متداخلة، وبينها من وشائج القربى الشيء الكثير، وهذا يحتم على المرء أن يبقى على صلة بها جميعاً ليكون إنساناً فعالاً نافعاً.

إن الاهتمام بمعرفة العقيدة وحكم الله في الأمور التي تواجه الإنسان في حياته واجبٌ عيني، فلا يجوز أن يصده تخصصه عن معرفة هذه الأمور. والدعوة إلى الله إن تعينت في حق امرىء بعينه كان عليه أن يقوم بها، وليس له أن يعتذر بانشغاله في تخصصه.

وهكذا فالتخصص أمر مطلوب، ولكن ذلك لا يحول بينه وبين جوانب من المعرفة التي أشرنا إليها. والله ولي التوفيق.



الثقة بالنفس

أيها المؤمنون!

يعاني كثير من الطيبين اليوم أزمات، لعل من أشدها خطراً أنهم لا يثقون بأنفسهم، وهذه آفة مدمرة، . تورث الإخفاق، والتردد، والخوف، وتشتت الفكر.

وكل خطة من خطط العمل الاجتماعي ترتكز أولاً وقبل كل شيء على ثقة القائمين عليها بأنفسهم، بل إن كل أمر من الأمور المادية والفكرية لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت هناك ثقة تملأ نفوس أصحابه.

ويحزنني أن أرى المنحرفين والأشرار ماضيين في تحقيق مخططاتهم المعادية للإسلام بخطى ثابتة وبثقة كبيرة بأنفسهم وهم يسلكون هذا السبيل المعوج المنحرف.

ولعلّ السبب في كون الطيبين يعانون من هذه الأزمة أن قوات متعددة تكاثرت وتداعت عليهم.

إنَّ المسلم يتصف بثقة راسخة بعقيدته وبطريقه الذي شرعه الله له.

● خرج رسول الله مهاجراً، وجعلت قريش مكافأة مالية ضخمة لمن يأتي به ويدل عليه، ويسمع سراقة بن مالك بأن النبي يسلك طريقاً معيناً، فيسارع إليه، وتحصل المعجزة، فتسوخ قدما فرس سراقة ويكف عن إيذائه، فيعده رسول الله بسواري كسرى.

يالله! رجل يخرجه قومه من بلدته، ويفر هارباً بدينه بعد أن ائتمر به



العقلاء والسفهاء من قومه ليثبتوه أو يقتلوه، ويأوي إلى الغار مستخفياً ليفوت على العيون المبثوثة قصدها، ثم يلقاه سراقة الشاب الممتلىء شباباً وقوة وحيوية، ويصرفه الله عنه، ويسأله أن يكافئه على تركه إياه والتعمية عنه، فيعده بسواري كسرى.. كسرى أكبر شخصية سياسية في ذاك العصر. لقد كان ﷺ عظيم الثقة بربه وطريقه.. وتمضي الأيام ويُلبس عمر بن الخطاب سراقة سواري كسرى.

● وهذا خالد بن الوليد يسمع قائلاً يقول يوم اليرموك: ما أكثر الروم وما أقل المسلمين، وهو بمقولته هذه يقرر حقيقة قائمة يدركها كل من رأى الجمعين، فيجيبه خالد الواثق بنفسه المتكل على ربه: أخطأت، بل قل: ما أكثر المسلمين! وما أقل الروم، والله لوددت أن الأشقر معافىً وأنهم أضعفوا في العدد.

فلنثق يا أيها المؤمنون بسلامة موقفنا، وصحة فكرنا، ولنتوكل على ربنا. ولينصرنَّ الله من ينصره.

التفريق بين المعاني المتداخلة

أيها المؤمنون!

هناك معان متداخلة، قد يلتبس على بعض الناس التفريق بينها، وقد يكون أحدها ممدوحاً مطلوباً، والآخر مذموماً محظوراً.

وسأضرب لكم بعض النماذج، وغيرها كثير:

● فمثلاً التدين أمر مطلوب، وهو الغاية التي خلقنا لها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

ولكن الغلو في الدين أمر مذموم ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

فقد يظن بعض الجهلة الغلو والتزمت من التدين، وما هو منه بشيء.

● والتواضع خلق كريم دعا إليه الشرع المطهر ولكنه ليس الرضى بالمهانة والضعة، فالمسلم عزيز في كل أحواله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقد يظن بعض المغفلين الضعة من التواضع، وما هي منه.

● واللين والحكمة أسلوبان دعا إليهما الشرع ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ





بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولكن الميوعة والتنازل عن بعض أسس الدين مجاملةً أمر مرفوض، وقد يُخَيَّلُ لبعض السذج أن الضعف والميوعة والتنازل من الحكمة، وهذا غير صحيح.

- والشجاعة والجرأة أمران محمودان، ولكنهما غير التهور والوقاحة.
- والحلم خلق كريم، ولكنه غير الرضى بالضيم.

والتفريق بين هذه المعاني والمفاهيم أمر يجب على العلماء والدعاة أن يقوموا به، وهو يحتاج إلى قدرة على التمييز بين الأمور المتداخلة، وخبرة بالحياة العملية ودراية علمية واسعة.



الكفر في الأغاني

أيها المؤمنون!

الدعاة مطالبون أن يعرفوا وسطهم الذين يتحركون فيه.

والمصلحون مكلفون أن يعرفوا مواضع الانحراف والمرض في مجتمعهم الذي يبغون إصلاحه، وكثير من هؤلاء الدعاة والمصلحين لا يعرفون شيئاً عما يكون في الأغاني والأفلام.

كنت مرة راكباً في سيارة أجرة، وكان المذياع يبث بعض الأغاني الوطنية، فسمعت فيها كلاماً لم أحفظه ولكنَّه كفر صراح، فتألمت لذلك.

لأن خطر هذه الأغاني كبير كبير.. فهي تُؤدِّي بلحن حماسي محبَّب يستساغ ترديده، وكله كفر وضلال.. فلقد أحلوا بعض القيم الجاهلية محل الله، وقدموها على العبادة. وفي شيوع ذلك من الخطر الشيء الكثير.

ولأن الدعاة لا يسمعون الأغاني ولا يدرون عن هذا الوباء القاتل الذي يؤثر في أجيال الأمة، ولذا فهم لا يعملون على تلافيه ودرئه.

فقلت في نفسي: ألا يستحق هذا الموضوع أن يهتم به العلماء. فتقوم دراسة تعتمد على استقصاء واطلاع مستوفي، تبيِّنُ خطر هذه الأغاني وتحذر المسؤولين من إذاعتها، وماذا يملك طالب العلم إلا أن يقول كلمة الحق؟.



أيها المؤمنون!

إن قوى رهيبة تعمل في خلسة ضد ديننا وعقيدتنا ومصدر عزتنا ونحن لا ندري وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهناك غير الكفر إشاعة الفاحشة والرذيلة، وإشعال نار الشهوة في أبناء الأمة وبناتها، وتزيين الانحراف لهم.

إن الموسيقى محرّمة، ولكنها ليست من الكبائر، أما الكلام الذي في كثير من الأغاني ففيه الكفر والمجون والانحلال والإفساد، وذلك كله من أكبر الكبائر.

إنها مسؤولية العلماء والحكام في بلاد المسلمين.. نعم إن للعلماء رأياً يعارض الموسيقى والإسفاف، ولكن الأوضاع السائدة الآن تجعل الأغاني شيئاً أساسياً في الإذاعات، فلا أقل من أن يمنع الكفر والفسوق والإفساد والمجون.

إن ترك هذه الأغاني دون رقابة أمر خطير جداً على العقيدة والخلق. وقد يسمع المسؤولون للناصحين، فلماذا لا ينصحون؟.



السعادة

أيها المؤمنون!

من الناس من يرى السعادة في جمع المال، ومنهم من يراها في الزواج من امرأة جميلة، ومنهم من يراها في تولي منصب رفيع، ومنهم من يراها في العافية الجسمية. ومنهم من يراها في غير ذلك.

وهكذا اختلفت آراؤهم في تحديد الشيء الذي إذا حازه المرء كان سعيداً، وكثيراً ما يصابون بخيبة أمل عندما يتحقق لهم ما كانوا يظنون ولكنهم لا يرون شيئاً من السعادة.

كم من فقير كان فقره نعمة عظمى عليه، إذ أضحى عالماً تشد الرجال إليه، ويخلد ذكره على مرّ الأيام، ولو كان ميسوراً لعاش عيشة الترف المائعة ولكان من الخاملين.

وكم من فقير كان فقره سبباً في صلاحه، ففاز برضوان الله، وكان من المكرمين بالجنة، ولو أنه كان في بحبوحة من العيش لكان معرضاً للاتصاف بالطغيان بغناه.

والعمى سبب في بعض الأحيان لاكتساب صاحبه العلم الغزير، والجاه العريض، والذكر الباقي.

لقد ذكر القرآن في قصة قارون قوماً كانوا يحسبون المال شيئاً كبيراً، فتمنوا أن يكون لهم مثلُ ما أوتي قارون.. ثم تبيّن لهم أنهم كانوا خاطئين.



﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] لقد ظنوا أنَّ قارون ذو حظ عظيم.. أما الذين أوتوا العلم فقد كانت نظرتهم للأمور نظرة أخرى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾[القصص: ٨٠]

ولا يمضي وقت طويل على هذا الحوار حتى يتبين فساد رأي الذين يريدون الحياة الدنيا، ويخسف بقارون وماله، ويعترفون بأنهم كانوا خاطئين ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

العبادة . . والسعادة

أيها المؤمنون!

لقد كرم الله ابن آدم بالعقل، وفضّله على كثير ممّن خلق تفضيلاً، وحمّله أمانة التكليف فحملها، وجعله أهلاً لعبادته، وبذلك كان للحياة عندالإنسان طعم وقيمة. . وكان ما يلقاه من الضر والأذى يزيد في حسناته إن صبر واحتسب ذلك عند الله.

والعباد، هي الغاية التي خلقنا من أجلها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبالعبادة الصادقة أرسل جميع الرسل: قال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٨] وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء لأقوامهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] وجعل العبادة واجباً وأمراً لازماً لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].





وهذا لازمٌ لأمته المهديّة الراشدة.

أيهـا المـؤمنـون!

احرصوا على أداء العبادة التي أوجبها الله عليكم خالصة له سبحانه بريئة من الشرك، بعيدة عن الرياء، موافقة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إنكـم إن فعلتم ذلك وجدتم والله طعماً للحياة لا يجده غيركم. أَوَ ما بلغكم قولة ذاك العارف بالله: (نحن على سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف، لأنهم أرادوها فأخطؤوها، وقد هدانا الله لها ووفقنا إليها) وادعوا يا أيها الأبرار الناس ولا سيما أهلكم وأصحابكم إلى ولوج هـذا النعيم المقيم، ولأجر الآخرة أكبر.



القدوة الحسنة والطليعة والرواد

أيها المؤمنون!

إن المسلمين اليوم في تطلع إلى فجر إسلامي جديد. وهم يحتاجون إلى روّاد يتقدمون الصفوف، ويشقون الطريق، ويحملون الراية.

يحتاجون إلى رواد جمعوا الإخلاص والوعي والحيوية والمعرفة وروح الجهاد، يحتاجون إلى هؤلاء الرواد في نهضتهم مثل حاجتهم إلى الطعام والماء.

وإنه لتلوح في الأفق القريب تباشير الفجر المشرق العظيم.

أيها المؤمنون!

إن الخير ما زال عميق الجذور في أمة الإسلام، والإيمان الكامن في القلوب بدأ يستيقظ وينهض .. فهم إلى الخير يتقدمون.

وجماهير المسلمين يتطلعون إلى الرواد والطليعة المؤمنة التي آمنت ووعت وانطلقت في طريق الحق والخير والفضيلة.

فهل لك يا أخي في أن تحمل نفسك على تعاليم الإسلام لتكون واحداً في هذه الطليعة.. لتكون القدوة الحية الناطقة.. لتكون من الرواد المصلحين. واعلم أن رسول الله ﷺ يقول:

«من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».





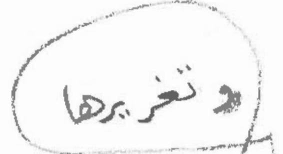
عليه علماء الأمة في السلف والخلف، وما إن يعثرون عليها حتى يتملكهم الفرح وينادوا: لقد كان عند آبائنا ما تقررون.

... إن هؤلاء المساكين وقعوا في أحابيل خصومهم من حيث لا يشعرون، والحاقدون على الإسلام يحاولون الاعتداء عليه تحت شعار الحرية. حرية الفكر تارة، والحرية الشخصية تارة أخرى، والحرية الدينية في بعض الأحيان..

.. ألا فلنعلم أنه لا يجوز لنا أن نعبِّدَ لخصومنا طريق العدوان علينا وعلى ديننا، ولنقرأ ما جاء في بروتوكلات صهيون عن شعار الحرية ففي ذلك بلاغ لقوم يعقلون.



الحرية



٢٧/٢/١٣٨٨ هـ

أيهـا المـؤمنـون!

يكاد يكون هذا العصر عصر تزوير الحقائق، والضحك على عقول الناس، باستعمال بعض الألفاظ الطنانة، وطرحها شعارات مغرية، وتطبيق ما يخالفها، حتى لكأن الكلمات قد فقدت معانيها ولم يَعُدْ لها مدلولها الذي يفهم منها لأول وهلة.

والغريب العجيب أن يتجرأ ناسٌ على استعمالها بكل صفاقة ووقاحة، ولا يبالون بما يمكن أن يكون موقف الواعين منهم أو حكمهم عليهم... لقد أسقطوا من حسابهم هذه الطبقة ولم يعد في حسابهم إلا مغالطة الدهماء وتقريرها والضحك عليها.

والحرية كلمة ذات إيقاع ساحر ولها في نفوس الناس من المكانة الشيء الكثير.. ولذلك فقد سارع إليها المخادعون الذين هم من أعتى الناس سيطرة واستعباداً فرفعوها شعاراً، وراحوا يفعلون الأفاعيل تحت عنوانها وباسمها.. ولا يبالون.

وهذه إحدى مهازل عصرنا المليء بالمهازل.

والجدير بنا - نحن المسلمين - أن لا نقع في أحابيلهم، وأن لا ننجرف في تيار مُخَادَعتهم وتزويرهم.

إن هناك مساكين رأوا قوة دعايتهم، فذهبوا يحاولون أن يتلمسوا بعـ
المواقف التي يجدونها في أحداث التاريخ، مما يخالف الرأي الذي ا

العيد

مكة المكرمة ١/شوال سنة ١٣٨٨ هـ

أيهـا المـؤمنـون!

أُحسُّ في كل عيد من أعيادنا الإسلامية بأعمق مشاعر الألم والاسى والحزن، عندما أتصور واقـع المسلمين المهين، وحالتهم الـذليلة الهزيلة، وأسمعهم يرددون بألسنتهم أقوى نشيد للعزة: الله أكبر. الله أكبر. ولله الحمد ويرددون بألسنتهم أسمى عبارت التوحيد والرفعة:

لا إلـه إلا الله وحده، صـدق وعده، ونصـر عبده، وهـزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبـد إلا إياه، مخلصين لـه الدين، ولـو كره الكافرون.

نشيد سام طاهر رفيع، يبعث العزة.

وكلمات التوحيد الخاص تركز بكلمات أروع معاني التوحيد.

يرددون ذلك بألسنتهم فقط، وكل ذرة من كيانهم وواقعهم تقول لهم: إنكم كاذبون.

يرتلون ذلك أهازيج وتراتيل، وفي حيـاتهم أن المادة أكبـر من كل شيء، وفي حياتهم آلهة متعددة.

ويزيد في ألمـي أنهـم يزورون واقعهم على نفوسهم ويزعمون أنهم في عيد.

إن علينا ـ نحن المؤمنين بالإسلام ـ أن نجعل هذه المواسم حية في دنيا المسلمين.





إنّ علينا أن نجعلها حوافز إلى تغيير حياتهم.

فلا يأتي العيد وينصرم إلا وقد اقتنع من حولنا أنّهم في انحراف عن الإسلام، وفي بعدٍ عنه، وأن صلاحهم وسعادتهم في أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله عنهم ما بهم.

إن علينا أن نستغل مثل هذه المواسم، حتى تمتلىء نفوس المسلمين عزماً على أن يكونوا مسلمين حقاً. كما يقولون.

وتتيح لنا عادة المزاورة في العيد أن نركز خلال معايداتنا على بعض المعاني التي تقوى على أن تبعث في جسم العيد روحاً وثابة مؤمنة.

المعيشة الضنك

مكة المكرمة ١٠/١٠/١٣٨٨ هـ

أيها المؤمنون!

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

يئن العالم كله وعالمنا العربي خاصة من مشكلات وأزمات اقتصادية وسياسية وفكرية وخلقية واجتماعية.. وقد نادى عددٌ من الكتاب والعلماء بضرورة إصلاح هذه المشكلات والتخلص من هاتيك الأزمات.

يشكو الناس من الغلاء الفظيع، والفقر المدقع، والديون المرهقة.

ويسود الناس قلق نفسي يجتاح نفوس الفتيان والفتيات، والكهول والشيوخ.. ويعاني الناس تفسخاً في الأسرة، وانهياراً في الروابط الزوجية، وفساداً خلقياً يعم المجتمع كله، ولا تخلو منطقتنا من اضطراب أمنية وسياسية تفزع وترعب..

من أجل ذلك سيطر اليأس على كثير من الناس.. وظنوا أن هذا الواقع المؤلم لازم لهم لا مناص منه. فكان سوء الظن والحقد والأثرة والنزاع والشجار والإجرام نتيجة طبيعية لهذا الواقع.



هـذه هي المعيشـة الضنـك وسبب قيـامها الإعـراض عن ذكـر الله والإسراف في المعصية والتخلي عن الإيمان ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ . . . ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [طه: ١٢٤ـ ١٢٧].

أجل لقد أعـرض العالـم المعاصر عن ذكر الله مجتمعاً وحكومة، فرداً وأسـرة. . أعرض عنـه في كل مجـالات الحيـاة السيـاسيـة والاقتصـاديـة والفكـريـة. فـلا عجب في أن يـلاقي هـذه المعيشـة الضنـك والعـذاب والضيق. . . هذا في الدنيا ويوم القيامة يكون الأمر أشدّ والخطب أفـدح ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾. [طه: ١٢٧].

فهل لكم أيها المؤمنون في العمل على إخراج أمتكم من هذه المعيشة الضنك؟.



النزاع بين الدعاة

أيها المؤمنون!

تعيش أمتنا الإسلامية في هذه الحقبة من عمرها حياة مضطربة قلقة. وتمتلكها الحيرة في اختيار الطريق.

إنَّها على مفترق طرق في حياتها الفكرية والسياسية والاجتماعية. وقد خُطِّطَ لها أن تحيا هذه الحقبة الدقيقة وهي في معزل عن الإسلام العظيم - أن تحيا في ظل أنظمة هدامة تكيد للإسلام ورجاله، وتنكل بدُعاته وعلمائه، وتطارد آثاره في شتّى جوانب الحياة. ذلك لأنَّ هذا الدين هو الذي استطاعت الأمةُ بتمسكها بتعاليمه أن تقاوم كلَّ مخططات الإبادة والعدوان التي تعرَّضت لها، وأن تردَّ كيد المعتدين إلى نحورهم، وأن تخرج من معظم المعارك ظافرة محتفظة بمقومات وجودها.

إنَّ على دعاة الإسلام أيْنَما كانوا سواء أكانوا في بلادهم أم كانوا مشرَّدين تحت كل كوكب مبعثرين في أرجاء المعمورة أن يدركوا أهميَّة هذه الحقبة، وأن يتعالوا على أنانياتهم، وأن يعلموا حقَّ العلم أنَّ نزاعهم بعضهم مع بعض سلاحٌ في أيدي أعدائهم، وأنَّ القضاء عليهم هدف اجتمعت عليه قوى الكفر واتجاهاته، وأنَّه قضاء حاسم لا مراعاة فيه ولا رحمة ولا لين.

إنَّ أعداء الإسلام لا يُفرِّقون بين حركة وحركة، ولا بين اتجاه واتجاه.. إنَّ على الدعاة أن يعلموا أنَّهم بنزاعهم يُمَكِّنُون لعدوِّهم من استئصالهم جميعاً.

إنَّ عليهم أن يذوبوا في فكرتهم العظيمة، وأن يؤثروها على



منافعهم.. إنَّ عليهم ألَّا يستعجلوا المكاسب.. إنَّهم سيصلون إلى كثير ممَّا يريدون إن هم آثروا الآخرة.

أجيال المسلمين تتخرَّج في مدارسنا وَفْق المناهج التي وضعها أعداؤنا.. وسواد الناس من أبناء أمتنا يحيون حياة عابثة لاهية قائمة على اللذَّة والمتعة والفجور.. ودينتا يحارب في كل ميدان، ويُتَّهمُ علماؤه بالتهم الخسيسة الباطلة ويشنع عليهم بالافتراءات.

فكيف يصحُّ قبول النزاع بين الدعاة مع هذا الذي ذكرنا؟.. إنَّ الرضا بالنزاع والإسهام فيه جريمة.. وقد يكون للنفوس والأهواء وللأعداء جهد بالتخطيط لقيام هذا النزاع.. ولكن الدعاة على كل حال مؤاخذون إن وقعوا في شَرَك هذا المخطط.

والله غالب على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.



المسجد

أيها المؤمنون!

المسجد مؤسسة ضرورية في مجتمع المسلمين، ولا بُدَّ منه لتستقيم حياتهم على هدى الإسلام.

ومن هنا نجد أن النبيَّ ﷺ عندما هاجر إلى المدينة كان أول ما صنع أن بنى المسجد، وعلى هذا الهدي الرشيد جرى أصحابه وتابعوهم في البلدان التي فتحوها وفي المدن والقرى والأحياء التي أنشؤوها، إذ كانوا يسارعون إلى بناء المسجد فيها حتى يكون أول عمارة يقيمونها فيها.

فالمسجد الجامع في لب المدينة والقرية والحيّ..

لا بدّ للمسلمين من مسجد يلتقي فيه بعضهم ببعض، يؤدون فيه فرائض الله في إطار الجماعة المتضامنة المتعاونة على الخير والبرِّ والتقوى، وعلى تبليغ رسالة الإنقاذ.. رسالة الإسلام، وتتزود أرواحهم في المسجد بالزاد الضروري الذي به تستقيم الحياة الإنسانية على الوجه الأتمِّ الصحيح، حتى تسيطر روح المسجد على حياتهم.

إنَّ جوّ المسجد هو الجو المحبب إلى نفس المسلم.. لأنَّه فيه يتصل بمصادر عقيدته.. وفيه يزداد بالشحنة العاطفية التي توقد فيه الحماسة وتحفزه إلى العمل. وفيه يزداد إيماناً إلى إيمانه.. وفيه يسير مع إخوانه في طريق الحياة الشائك على هدى من الإسلام.. وفيه يتذوق معنى المحبة التي كانت تدفع أحد الصحابة ليقول لصاحبه: اجلس بنا نؤمن ساعة.



وفيه يعيش الأخوة الإسلامية والمساواة الإسلامية. وفيه ينغمس في بحر المودة الإسلامية ويسقي غرسة الحب في الله.. وفيه يتلقى مزيداً من الشعور بالمسؤولية أمام الله هذه المسؤولية التي حمله الله إياها يوم أن أكرمه بالإسلام.

إن المسلم يكون في المسجد على هذه الحالة عندما تكون روح المسجد متوقدة بعامريه الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.. فما أحرانا ـ يا أيها المؤمنون ـ بالدعوة إلى أن تعود روح المسجد من جديد لتبث الحياة في جوانبه، عبادة، وعلماً وذكراً، وتعاوناً على الخير، والله ولي التوفيق.

اتجاه بعض المؤلفين

في معالجة القضايا الإسلامية

أيها المؤمنون!

يتجه بعض الكُتَّاب المسلمين إلى مناقشة القضايا المعاصرة من وجهة النظر الإسلامية مناقشة عامة تبحث في الكليات، ويرون أن هذا اللون من المعالجة هو الذي تقتضيه طبيعة العصر الذي نعيش فيه.

ويغلب على بحوثهم الاهتمام بالأمور الاقتصادية والسياسية، تأثراً بغزو الحضارة المادية العنيف.

وهذا الاتجاه هو الذي يسود نتاج هؤلاء المفكرين سواء كان ذلك في المقالة الصحفية، أو الكتاب المؤلَّف.

وهذه الملاحظة جديرة بالدراسة لأن شيوع هذا الاتجاه أوجد رأياً عاماً لدى عدد من الشبان يصف العلماء الذين يبحثون بعض الأمور الشرعية بشكل محدد ويسلطون الضوء عليها يصفهم بأنهم سطحيون، يشغلوننا بالوضوء وأنواع المياه وحكم الطلاق الرجعي والبائن وما إلى ذلك ويجردهم من العمق والنضج.

ويقول هؤلاء الشبان: إن من مستلزمات الوعي والمعاصرة أن نتحدث عن النظام السياسي والاقتصادي في الإسلام.. ويا ليتهم يفعلون، ولكنهم يذكرون عموميات بأسلوب خطابي بعيد عن الموضوعية.. إنها ظاهرة غير صحية؛ لأنها ردّ فعل لظروف غير طبيعية يمر بها المسلمون.

والاستمرار في معالجة قضايا المسلمين على هذا النهج يوجد غموضاً





في تصور الإسلام، لأن هذه المعالجة لا تعرض إلا عموميات فيها تجريد كثير، وبعد عن الواقع القائم؛ بسبب الجفوة القائمة بين الإسلام وواقع المسلمين، ويوجد هذا الاستمرار في معالجة تلك القضايا مجانبة للعمل والسلوك وتطبيق الحياة الإسلامية، ذلك لأن العلم بالشيء هو الخطوة الأولى لتطبيقه. فإذا كان علماؤنا ومفكرونا لا يقدمون لنا بحوثاً شرعية في جزئيات تتصل بحياتنا وتعاملنا مع الآخرين، فكيف يستطيع الراغب في العمل أن يعمل؟.

إن البحث ينبغي أن يتناول جوانب الإسلام كلها السياسية والاقتصادية والخلقية والتعبدية بأسلوب محدد يعتمد الكاتب فيه على المصادر الأصلية.



لا يقبل قول أحد إلا بدليل

أيها المؤمنون!

إن دينكم العظيم يقوم على المصدرين الأساسيين الكتاب والسنة، وهما يؤولان إلى الوحي من خالق الإنسان والعالم بما يصلحه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ولم يتعبدنا ربنا إلا بالكتاب والسنة.. وقد جاءت عقول ضخمة على مدى هذه القرون وعبقريات نادرة. أعملت فكرها في هذين المصدرين.. وكان من نتاج ذلك علم كثير.. ولكن ذلك كله يبقى نتاجاً بشرياً قابلاً للخطأ والصواب.. والمخطىء والمصيب في ميزان الله مأجور «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» والمقياس الذي نرجع إليه في تقويم آراء الرجال هو الكتاب والسنة.

فلا يكون للرأي رجحان على غيره إلا إذا اعتمد على دليل، فلا يقبل قول أحد مهما كان شأنه وفضله وتقواه إلا إذا دعمه بدليل من الكتاب والسنة ولا بُدَّ من أن يكون الحديث صحيحاً كما قرر العلماء ذلك.

والعلم تخصص، فقد يأتي إنسان بشبهة تشككك في أمر من أمور الدين، فعلى من يسمع ذلك أن يسأل أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] والعلماء موجودون والحمد لله، وهم والله بركة الدنيا، بهم يحفظ الدين وترد شبهات الدجالين، وقد تيسرت وسائل الاتصال في أيامنا هذه، فباستطاعتك يا أخي أن تتصل بأي عالم بواسطة الهاتف، ومهما كانت كلفته فهي أقل بكثير مما كان يتكلفه أسلافنا بالأسفار البعيدة.

مواجهة المصاعب سبيل حلها

أيها المؤمنون!

في دنيا الناس عجائب.. ومن هذه العجائب نقص القادر على التمام على حد قول أبي الطيب:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

والعاقل الأريب هو الذي يواجه المشكلات بصبر وعقل حتى يحلها... ولا يستسلم لليأس من أول لحظة. ولا يتحطم بسبب كارثة تصيبه، بل تراه يصمد[1] لها الصمود الذي يجعله يحسن التصرف معها.

تعرض على شاشة التلفاز جولات من المصارعة الحرة، وأنا لا أسرُّ من رؤيتها، ولكني أخذت منها درساً قيماً ثميناً، وهو أن المرء يجب ألَّا ينهار ولا يستسلم لليأس ولو كان في أشد حالات الضيق والأزمة والكرب.

فأنت ترى المصارع في كرب عظيم وعناء كبير، يكاد يلفظ أنفاسه، لا يقوى على الحركة.. ولكنه يصبر ويفكر وهو في هذه الحالة في تحرير نفسه وفكّ مسكة خصمه، ويرسم الخطة، ويأبى عرض الاستسلام الذي يعرضه عليه الحكم.. ويمضي في تنفيذ الخطة التي رسمها، وما هي إلا لحظات حتى يغدو منتصراً.

ومن العجائب أن بعض الناس تعرضوا للأذى بسبب عقيدتهم

(١) استعمل هنا كلمة (صمد) بالمعنى الشائع وهذا غير معناها اللغوي إذ هو قصد.







الصحيحة وسلوكهم المستقيم، وطال عليهم الأمد.. فإذا بهم ينهارون.. ويستسلمون لعدوهم.. ويتخلون عن عقيدتهم وسلوكهم.. وتكر الأيام عليهم... فإذا هم من الصرعى.

إن الله ميّز الإنسان عن غيره من المخلوقات بالعقل والفكر. فلماذا لا نفكر؟ ولا نستخدم هذا العقل؟ لماذا نجمد على حالة واحدة إذا رأيناها غير مجدية؟ لماذا نيأس والسبل أمامنا ميسورة؟ لماذا ننسى ما أعدّ الله للصابرين؟



التقليد . . والشباب

أيها المؤمنون!

إن التقليد يقضي على تميز الأمة، ويذيبها في الآخرين، ويمحو شخصيتها، وهذا عام في الأمور كلها، ولكنه في الأمور الخسيسة والأخلاق الرديئة أشد خطراً وأسوأ أثراً.

قال ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جُحْرَ ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذاً؟».

إنك لترى شباباً مولعين (بالموضة) والميوعة، فلا تشيع عند الكفار (صرعة) حتى يقلدوهم فيها، وإنهم ليتحملون في سبيل ذلك ضغطاً شعبياً عنيفاً، ومع ذلك فإنهم يملكون الجرأة على مخالفة أعراف أمتهم، ويبدون كما تقضي (الموضة) فهم قد يخرجون بأزياء تثير الضحك والسخرية.. تجد الواحد منهم يلبس الضيق القصير الممزق. وقد يحلقون شعورهم ويرتبونها على نحو غريب.. تجد الواحد منهم، قد حلق شعر رأسه بشكل غريب جداً، وترك شعره يتدلى من هنا وهناك، ورتب شواربه ترتيباً مشوهاً جداً، وإذا ضحك زاد قبحاً وتشويهاً.

إنهم في سبيل التقليد يرضون بسلوك مسلك التخنث والإغراب مهما جرّ عليهم من أنواع الاستغراب والاستهجان.

وأما النساء فإنهن يبدين ما تستحيي المرأة السوية من إبدائه، ولا يسترن إلا ما يقبح مرآه.





أنكم يا أيها المؤمنون مطالبون بأن تنبهوا الناس إلى خطورة التقليد لاسيما وأن رسول الله ﷺ يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وقد علمنا ربنا أن ندعوه بأن يهدينا سبيلاً غير سبيل اليهود والنصارى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٥ - ٧].



كيفما تكونوا يول عليكم

أيها المؤمنون!

حكام الأمة ـ في الغالب ـ منها، وهم يسايرون السواد الأعظم من أمتهم، فإن كان السواد صالحاً كانوا صالحين، هذا هو الأعم، وقد يكون بعض الحكام الفاسدين لشعب صالح وقد يكون العكس، لعوامل معينة.

يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

فابتلاء الظالمين بالحكام الظالمين بسبب كسبهم وأعمالهم. وعندما يحكم الظالمون يزيد الفساد، ويحق القول على الأمة قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

ومن هنا تبدو الخطورة في كون الظالمين حكاماً.

إن المعالجة الجذرية للحكام الفاسدين هي تغيير الواقع السيء، وهذا هو الطريق الطبيعي، إنه الرجوع إلى الله، والوقوف عند حدوده، والتضرع إليه أن يخلص الناس من أولئك الطواغيت.

إن الحاكم الصالح لشعب فاسد لا يستطيع أن يحقق كُلَّ ما يريد.

ولا يعني كلامنا هذا أن ننتظر حتى يصلح المجتمع كله.. إن هذا



حلم لا يمكن أن يتحقق، لأن الطبائع الشريرة الفاسدة لا يخلو منها مجتمع . . ولكننا نريد أن توجد طبقة مؤمنة تشكل قاعدة صلبة يمكن أن يقوم عليها الحكم الصالح .

إنَّ بنـاء القاعدة ينبغي أن يكون مع قيام الحاكم الصالح . ورضي الله عن عثمان القائل: «يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» .

إن الحكم نفسه وسيلة من وسائل الإصلاح، لأن للدولة من النفوذ والقدرة ما ليس للمعاني الخيرة المجرّدة .

أيهـا المـؤمنـون!

إن الحقيقـة القـرآنيـة تصـرخ في وجوه المسلمين العصـاة: إنكم ظالمون، فسلط عليكم ظالمون، فارجعوا إلى الله، والتزموا حدوده، وغيروا واقعكم يتغير حكامكم .

إن ما يعانيه المسلمون من تنكيل الطغاة وظلمهم وتضييق سبل العيش عليهم إنما كان بسبب إعراضهم عن الإسلام، ولعذاب الآخرة أشد ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

الأخسرون

أيها المؤمنون!

إنَّ المريض عندما يحسُّ بمرضه، ويعاني من أثر الألم، يذهب إلى الطبيب، ويتناول الدواء لينعم بالشفاء، ومن هنا كان الألم والإحساس به أمراً له إيجابيته، إن العضو المصاب بالشلل لا يحس بالوخز ولا بالحرق..

فالخطوة الأولى للوصول إلى الشفاء والتخلص من المرض هي الاعتراف بالمرض.. أما إذا كان المريض يدعي أنه صحيح ولا يصنع شيئاً، فإنه يترك للمرض أن يأتي على جسمه ويقضي عليه وهذا كله في مرض الأجسام.. ومرض القلوب مثل ذلك وأشد..

إن الكافرين زينت لهم أعمالهم فهم لا يحسون بمرض قلوبهم، ولذلك تراهم مصرين على كفرهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٤ ـ ٥].

إنهم خاسرون لأنهم قضوا حياتهم في ضلالة، وهم يحسبون أنهم على شيء.

وقد قال بعض علماء السلف: إن الله لا يغفر لصاحب البدعة، والسبب أنه يرى نفسه على حق.. ولذلك كان هذا الدعاء من أجمل الأدعية: «اللهم أرنا الحق حقّاً وأرزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه».



إن الكفار من اليهود والنصارى والشيوعيين والملحدين وغيرهم زينت لهم أعمالهم فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.. إنهم الأخسرون أعمالاً قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [فاطر: ٨].

إنهم مساكين إذا قيل لهم: كفوا عن الفساد قالوا: إنما نحن مصلحون ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

لنتعظ يا مسلمون

أيها المؤمنون!

كنا نسمع ونحن صغار حديثاً قدسياً لا أعرف درجته وهو:

«إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني».

ومهما يكن من أمر فإن معناه صحيح، وهذا ما نلمسه في تسلط اليهود علينا.. اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة يسوموننا سوء العذاب، وما ذلك إلا لبعدنا عن الله وتحكيم شرعه.. والمثل العربي القديم يقول: ولا يغلبك مثل مغلب.

إن تاريخ هؤلاء المعتدين تاريخ قذر حافل باللؤم والدناءة، فهم قوم ماكرون حاقدون قصَّ الله علينا طرفاً من سيرتهم في القرآن.

وهم جبناء يصور جبنهم قولهم لموسى عليه السلام عندما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[المائدة:٢٢]. ثم ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

هكذا كانوا مع نبيهم.. وهم الآن على ما نرى، وذلك بسبب الحبل من المعونة الذي يلقونه من دول كبرى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].



وقد أخبرنا ربنا أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة: ٥١].

وأخبرنا ربنا أن هؤلاء اليهود لا يقاتلون إلا معتمدين على حماية مؤكدة فقال: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر: ١٤].

وهم من أحرص الناس على الحياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة: ٩٦].

أفلا يدعونا صراعنا مع هؤلاء الذين ذكرنا أحوالهم أن نراجع أنفسنا ونتعظ ونحاسب أنفسنا حتى يرفع الله هذا المقت عنا. ومن العجيب أننا زورنا الصراع معهم فجعلناه بين العرب واليهود. وهو والله بينهم وبين المسلمين.

لنتعظ يا مسلمون.



التفاؤل والابتسام

أيها المؤمنون!

إن المؤمن يرضى بما قسم الله له، فهو سعيد بالنعمة التي حباه الله بها، وتعمر الطمأنينة نفسه بسبب إيمانه وقناعته، وصدره خال من الحسد والغل، فلا يحمل في قلبه سوءاً ولا ينوي إيذاء أحد..

إن هذا كله يجعله مبتسماً متفائلاً.. لاسيما إذا لقي أهله وأصدقاءه ومخالطيه ورسول الله ﷺ يقول: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

وإنه ليحزنني أن أرى بعض المتدينين تعلو وجوههم علامات السخط والتربد والعبوس والنقمة.. فلا أهله يستريحون، ولا إخوانه يسرون.

لماذا هذا؟

قرأت وأنا صغير قصة أم كانت تتعهد ابنها بالتوجيه والتربية، وكان هذا الولد ساخطاً ناقماً على حظه دائم العبوس.. فأتت له بكأس ملأت نصفه ماء وطلبت منه أن يصفه.. وقبل أن يتكلم قالت له: يا بني بإمكانك أن تنظر نصفه المملوء، وبإمكانك أن تنظر إلى نصفه الفارغ، بإمكانك أن تقول: هذا الكأس قد نقص نصفه، وبإمكانك أن تقول: قد امتلأ نصفه، أليس كذلك؟ قال: بلى. قالت: فلماذا لا تكون نظرتك إيجابية، فتنظر إلى النصف المملوء؟ وتحمد الله أن وهبك جرعة من الماء ولو كانت تشغل نصف الكأس.

إن الرضا والابتسام يجعلان المرء سعيداً في ذاته، محبوباً من قبل





إخوانه ومخالطيه، فيعم نفعه، ويعظم تأثيره، ويدخل السعادة على من حوله.

أيها المؤمنون!

كونوا راضين متفائلين مبتسمين.. فإن أمر المؤمن كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.. إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له.. وإن إصابته ضراء صبر فكان خيراً له.

المصيبة خير للمؤمن.. لأنها تكسبه الأجر.. ويعرف قدر النعم فيشكرها، فهو في الحالين يتقلب في الخير.



كونوا عبيداً لله ربانيين

أيها المؤمنون!

كونوا عبيداً لله، ربَّانيين تعلمون الناس ما يجهلون، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.

إنَّ الإسنان بفطرته لا بد من أن يتصف بصفة العبودية. فمن كان عبداً لله تحرّر من كل ألوان العبودية التي يرسف في أغلالها كثير من الناس. فهناك عبيد لحاجاتهم وأهوائهم، وهناك عبيد لشهواتهم، وهناك عبيد لناسٍ من الطواغيت، وهناك عبيد للبقر، وهناك عبيد للأوثان من الحجارة.. وهناك.. وهناك...

أفرأيت يا أخي سموّ العبودية لله تبارك وتعالى؟ ما أشرف هذه العبودية القائمة على الانقياد لله والتعلق به، وحبّه الحبَّ الصادق، والخوف منه ورجاء رحمته.

قال ابن تيمية: [ومن عَبَد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحّد][1]، ومن كان عبداً لله أبى أن يكون عبداً لسواه.

والعبادة في الإسلام شاملة. قال ابن تيمية: [العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة][2].

---

(١) العبودية ١٢٨.
(٢) العبودية ٣٨.



أيها المؤمنون!

كونوا ربّانيين، والرّباني من اجتمعت فيه ثلاث خصال وهي: العلم، والعمل، والتعليم.

فاحرصوا يا أيها الأبرار، على طلب العلم ما حييتم، وليكن طلبكم العلم وسيلة للعمل الصالح، ثم علموا الناس العقيدة الإسلامية العظيمة والواجبات التي أوجبها الله على عباده، والمحرمات التي حرمها، والأخلاق التي ندب الناس إليها يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» ونقل ذلك ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: [فالعالم الرَّباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد، وقد دخل في الوصف له بأنه ربَّاني وصفهُ بالصفاتِ التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنعُ وصفَهُ بما يخالفها. ومعنى الرَّباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وقوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال ابن عباس: حكماء فقهاء. وقال أبو رزين: فقهاء علماء. وقال أبو عمر الزاهد: سألتُ ثعلباً عن هذا الحرف، وهو الرباني، فقال: سألت ابن الأعرابي فقال: إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل له: هذا ربّانيّ. فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له: ربَّانيّ][1].

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/٥١ ومفتاح دار السعادة ١/١٢٤.





وقال ابن كثير: [والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط... خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس. إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات. فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً][1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٧٤.

فهرس الموضوعات

